مباحث في الإعجاز القرآني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2013/7/8920)

علي، عثمان فوزي

مباحث في اعجاز القران// / عثمان فوزي عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص

ر.أ: (2013/8/2920).

الواصفات:/ اجاز القرآن// القرآن الكريم

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-50-1

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ خلوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمّان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

مباحث
في الإعجاز القرآني

أ.م. د عثمان فوزي علي

الطبعة الأولى

2014 م – 1435 هـ

الفهرس

المقدمة 7

المبحث الأول

الإعجاز القرآني مفهومه 13

المبحث الثاني

المعجزة القرآنية 17

المبحث الثالث

تاريخ البحث في إعجاز القرآن الكريم 25

المبحث الرابع

بيان إعجازه في الجملة..... 29

المبحث الخامس

وجوه إعجاز القران الكريم 33

المبحث السادس

الصرفة 39

المبحث السابع

التحدي 49

المبحث الثامن

الإعجاز اللغوي 55

المبحث التاسع

الإعجاز البياني..... 89

المبحث العاشر

الإعجاز العلمي..... 117

المبحث الحادي عشر

الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي 137

المبحث الثاني عشر

التصوير الفني في القرآن الكريم..... 161

المبحث الثالث عشر

القصص القرآني..... 177

المبحث الرابع عشر

إخبار الغيب..... 197

المبحث الخامس عشر

النظم الصوتي 205

الخاتمة 219

المصادر والمراجع 221

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَخَصَّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِأَوْضَحِهِمَا أَحْكَامًا وَحِجَاجًا، وَهَدَاهُمْ إِلَى مَا آثَرَهُمْ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي مَيَّزَهُ اللَّهُ عَلَى خَوَاصِّ رُسُلِهِ مُعْجَزَةً وَخَصَائِصَ وَمِعْرَاجًا صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَطَمُوا أَعْدَاءَ الدِّينِ الْقَوِيمِ عَنْ أَنْ يُلْحِقُوا بِشَيْءٍ مِنْ مَقَاصِدِهِ أَوْ مُبَادِيهِ شُبْهَةً أَوْ اعْوِجَاجًا، صَلاةً وَسَلامًا دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ جُودِهِ الَّذِي لا يَزَالُ هَطَّالاً ثَجَّاجًا.

أما بعد:

فإن من المقدمات الواجب كشفها، والتحري ما كان قواماً للدين وقاعدة للتوحيد، وبرهاناً على صدق نبيهم ومعجزاته، وأعني به القرآن الكريم، ولا سيما أن الغفلة عن تبيان معانيه ظلت قائمة عند بعض المسلمين، مما أدى إلى الخوض بالباطل لا سيما في أصول الدين، وتحريف بعض ما جاء به القُرآن الكريم، وهذا يقتضي مزيداً من البحث عسى أن يكون في هذا سبباً للانصياع إلى جادة الحق.

ومن ناحية أخرى فالمسلم المؤمن بحاجة إلى ما يوثق صلته بكلام ربه، ويستجلي بعض أسراره، ويفهم خواصه، وتوالت كتب علماء الإسلام تبحث في تفاصيل قرآنية دقيقة، وعلى وجه التحديد كتب الإعجاز التي بينت روعة هذا النظم الرباني الفريد. ولقد استحوذت قضية الإعجاز القرآني منذ وقت مبكر على قدر كبير من اهتمام العلماء وعنايتهم، وكانت هي الدافع القوي وراء ما بذلوه من جهود مباركة، يرمون من ورائها إلى تحقيق هدف ديني أصيل، جدير بأنْ يبذل في سبيله كل جهد، وتستنفد كل طاقة.

لقد بعث الله تعالى رسوله محمداً (ﷺ) بالرسالة الخاتمة، فكان ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات جميعاً، فأنزل الله تعالى عليه القرآن بلسان عربي مبين في أُمَّة أُمية لها باعها الطويل والقِدْح المُعلَّى في البيان والفصاحة

وروعة الأسلوب، حتى كانت لهم الأسواق والمنابر والمواسم يعرضون فيها أنفس البضائع، وأدق وأجود وأبرع صناعتهم البيانية، إنها بضاعة الكلام من الشعر والنثر والخطابة، وكان النقد والمساجلة والمناظرة، حتى يختاروا من هذه الصناعة البيانية أروعها وأحسنها في جو من التنافس الشديد، ليتفاخروا بما قدموه، ولتتناقله العرب بعد ذلك تذوقاً للُّغة التي تهذبت كلماتها وأساليبها واختيرت ألفاظها أحسن اختيار.

فنزل القرآن على النبي محمد (ﷺ) وهو معجزته الكبرى ودليله على النبوة وأنه لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاَّ وحي يوحى، وقد وقف أئمة اللُّغة من العرب عاجزين أمام القرآن أنْ يحاكوه أو يماثلوه في أزهى العصور للأُمَّة العربية بياناً وفصاحة وبلاغة.

وهذا الكتاب، هو مساهمة لاستجلاء بعض أوجه الإعجاز القرآني اقتصرت فيه على بيان جوانب من مباحث الإعجاز في القُرآن الكريم، إذ أن التسليم بأنَّ القرآن الكريم معجز للبشر، يؤدي بدوره إلى التسليم بأنه من عند الله تعالى، وهذا بدوره يؤدي إلى التسليم بأنَّ كل ما تضمنه حق خالص، لا سبيل للباطل إليه، وأنه الصراط المستقيم، وحبل الله المتين وأنَّ العصمة والنجاة في الاحتماء بحصنه.

لقد حمل هذا الكتاب عنواناً هو: (مباحث في الإعجاز القرآني) أما المصادر التي اعتمدها البحث فهي تشمل المصادر الواسعة والمتنوعة قديمة وحديثة: في دراسات القرآن، والبلاغة، والتفسير، واللغة، والإعراب، وعلوم القرآن، بعد هذه المقدمة كانت خطة بحثي هي كالآتي:

المبحث الأول: الإعجاز القرآني مفهومه.

المبحث الثاني: المعجزة القرآنية.

المبحث الثالث: تاريخ البحث في إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الرابع: بيان إعجازه في الجملة.

المبحث الخامس: وجوه إعجاز القران الكريم.

المبحث السادس:الصرفة.

المبحث السابع: التحدي.

المبحث الثامن: الإعجاز اللغوي.

المبحث التاسع: الإعجاز البياني.

المبحث العاشر: الإعجاز العلمي.

المبحث الحادي عشر: الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي.

المبحث الثاني عشر: التصوير الفني في القرآن الكريم.

المبحث الثالث عشر:القصص القرآني.

المبحث الرابع عشر: إخبار الغيب.

المبحث الخامس عشر:النظم الصوتي.

كما لا يخفى على احد ما يواجهه الباحث من صعوبات ناتجة عن ظروف واقعية منها ضيق الوقت، ختاماً هذه هي الخطة التي سرت على منوالها وجعلتها أساساً لبناء الهيكل العام للكتاب، وانتهيت إلى تدوين أهم المراجع التي اهتديت إليها في كتابي. ولا أظن إني بلغت الكمال، لأنه لله وحده، وإنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فان أصبت فمن الله جلّ وعلا، وان أخطأت فمن نفسي واستغفر الله.

والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول

الإعجاز القرآني

المبحث الأول

الإعجاز القرآني

مفهومه

عجز: عجز الشيء يعجزه عجزاً فهو عاجز، أي:ضعيف.أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه [1]، فمعنى الإعجاز: الفوت، والسبق.فالمعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة.

والعجز في الحقيقة: وعرف ابن منظور العجز بأنه: فاعل العجز في غيره وهو الله جلّ وعلا، كما أنه هو المقدر، ومعجزةٌ للمبالغة في الخبر عن عجز الرسل إليهم عن المعارضة، كما وقعت للمبالغة بالهاء في قولهم: علامة، ونسابة، ونحوها. [2]

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني[3]: (الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق)[4]. وقال أبو البقاء[5]: (إعجاز القرآن ارتقاء في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته)[6]. وتعريف الجرجاني في نظري جيد لأنه أشمل من غيره.

---

(1) يُنْظَرْ: معجم مقاييس اللغة لابن فارس 232/4.

(2) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل ولد سنة 630هـ وكان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة اختصر الأغاني والعقد والذخيرة وغيرها وكان لا يمل من ذلك، قال الذهبي كان عنده تشيع بلا رفض، مات سنة 711هـ. (يُنْظَرْ:الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر 15/6) .

(3) هو السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، من كبار علماء العربية، ولد في تاكو ودرس في شيراز، وأقام بها إلى أن توفى عام 818هـ، وله نحو خمسين مصنفاً في اللغة وغيرها منها التعريفات، (يُنْظَرْ: الأعلام 102/1).

(4) التعريفات: 31.

(5) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، صاحب "الكليات " كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد،وعاد إلى استانبول فتوفي بها عام 1094هـ، (يُنْظَرْ:الأعلام 38/2).

(1) الكليات: 149.

ورجحنا هذا التعريف لسببين:

1. ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.
2. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت[1].

وأما معنى إعجاز القرآن الكريم:

(إعجاز القرآن مركب إضافي، بحسب أصل اللغة: فهو لغة: بفتح الجيم وكسرها من العجز وهو عدم القدرة، ومن عجز، إي ضعف والعجز نقيض الحزم)[2].

(وإثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به)[3].

ولم ترد كلمة إعجاز في القران الكريم ولا في السنة النبوية، وإنما ذكرت آية ومعنى وبرهان، والآن نشرع في بيان تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح. [4]

(1) إعجاز الْقُرْآن والبلاغة النبوية . لمصطفى صادق الرافعي: 139.
(2) يُنْظَر: لسان العرب: 369/5.
(4) مناهل العرفان: 227/2.
(4) يُنْظَرْ: إعجاز القران، ا. د أمير عبد العزيز :9.وهذا ما وقفنا عليه من ذكر آية، بمعنى علامة ولم تذكر كلمة إعجاز، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني

المعجزة القرآنية

المبحث الثاني

المعجزة القرآنية

حقيقة المعجزة:المعجزة في اللغة: اسم فاعل من الإعجاز، وهي للأنبياء خاصة وهي من عجز: والعجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما ورجل[1].

وفي الاصطلاح: قد يطول المقام بذكر تعاريف المعجزة اصطلاحاً ولكن نختار التعريف المشهور منها وهو ما عرّفه السيوطي بقوله (هو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة)[2]. وقد جرى على هذا التعريف كثير من العلماء.[3]

لقد طالبهم القُرآن الكريم أن يأتوا بمماثل للقرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم، ومن حيث المعنى، إن صدقوا في دعواهم، فذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له ـ عليه الصلاة السلام ـ في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به، ودواعي الأمر بذلك، فالكلام ردّ للأقوال المذكورة في حقه (ﷺ)والقرآن بالتحدي، فإذا تحدوا وعجزوا علم ردّ ما قالوه وصحة المدعى[4].

(1) يُنْظَرْ: لسان العرب 5/ 369 ، تاج العروس 88/5.
(2) ينظر:الإتقان 116/2 .
(3) يُنْظَرْ: على سبيل المثال ((الْمِصْبَاح الْمُنِيرِ فِي غَرِيب الشَرْح الكَبِيْر 2/ 149 .،شَرْح جلال الدِّين الدَّوَانِي عَلَى العقائد العضدية . 276/2، التَّعْرِيفات . لأبي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني 282)) .
(4) يُنْظَرْ:روح المَعَانِي فِي تفسير الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني ،لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عَبْدُ اللَّهِ 195/1 .

ويشهد لذلك قول الرسول محمد (ﷺ) ((عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال ما من الْأَنْبِيَاءِ من نَبِيٍّ إلا قد أُعْطِيَ من الْآيَاتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كان الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى الله إلي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يوم الْقِيَامَةِ))[1] فالمعجزة: هي خرق لنواميس الكون، يعطيها الله لرسله ليدل على منهجه.[2] وإذا استجاب الله لطلب المعجزة، أو أظهرها من غير طلب، تم أمران:

الأمر الأول: أن يجري الله على يدّ رسوله أمراً خارقاً للعادة، لا يتمكن هذا الرسول بصفته البشرية – بالغاً ما بلغت به القوة الجسمية أو الروحانية – من فعله أو القيام بمثله بحسب المعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته، لولا أن الخالق العظيم أجراه على يديه، تأييداً له في أنه رسول صادق فيما ينقل عن ربه. لقد حار القوم في إجابة هذا التحدي، كيف يأتون بكلام مثل هذا الكلام كله ؟ ربما قد حاولوا، ولكنهم عجزوا، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[3].

فتجاوز لهم عن بعض ما طولبوا به، ولم يشأ أنْ يفلتوا بما أعذروا أنفسهم به، فلئن كان حديثاً مفترى أعين عليه ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4]، وما أجداهم أنْ يستعينوا بمَنْ شاءوا، ومَنْ استطاعوا في أنْ يأتوا بالعشر المفتريات، فأرخى لهم إمعاناً في التحدي الساخر بقدرتهم، فتجاوز عن العشر إلى واحدة مع العون أيضاً فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[5]، ولئن تقاصرت قدرتكم أنْ تأتوا بسورة مماثلة لسورة على التحديد ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

(1) صحيح مسلم 134/1،كتاب الإيمان ، بَاب وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إلى جَمِيعِ الناس وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ.
(2) يُنْظَرْ: مباحث في إعجاز القران د. مصطفى مسلم :17.
(3) سورة الفرقان : من الآية 4 .
(4) سورة هود : من الآية 13.
(5) سورة يونس : من الآية 38.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، فربما كانت مماثلته على التقريب أيسر عليكم من مماثلة على التحديد، وهذا ما أشارت إليه آية البقرة باستخدام لفظ (مِن مِّثْلِهِ) [2].

قد يقال: إن القوم معذورون، وأنهم طولبوا بما لم يبرعوا فيه، أو بما هم فيه جاهلون؟ ولكن الجواب عن ذلك يبين عظمة هذا القرآن، وأن العرب لم يكونوا قوماً يجهلون فنون الأدب، ولا تعوزهم البراعة في ذلك، فضلاً عن معرفتهم بأمية النَّبِيّ (ﷺ) الذي تحداهم بالقرآن، لقد عرف العرب برُقِيّهم الفكري والأدبي، ممثلاً في أسواقهم الأدبية، يعرضون فيها أنفس بضاعتهم من الكلام، وأغلب صناعتهم من الشعر والبيان، يتبارون في عرضها ونقدها واختيار أحسنها، والمفاخرة بأجودها، كذلك لم يكن غريباً أنْ نرى القرآن ـ وقد صادف هذا المستوى الفكري لدى العرب ـ أنْ يناقش ويجادل عن نفسه، وأنْ يشتد في جداله ودفاعه ويعلو صوته حتى يصافح وجه السماء، فما ذاك إلاَّ أنه وجد أمامه خصوماً ألداء وأعداء أشداء، أوتوا حظاً من نضج الفكر، وبلاغة القول، وعزة النفس،كذلك لم يشأ الله أنْ تكون آيته إليهم إلاَّ القرآن، آية عقلية تناسب نضجهم الفكري، ورتبتهم في سلم الرُّقي البشري، وكلما ارتكسوا في حمأة اليأس من معارضته، ونكسوا على رؤوسهم في طلب معجزة حسية أبى الله ذلك ـ وكان قادراً على أنْ ينزل عليهم آية فتظل أعناقهم لها خاضعين ـ لأنهم تجاوزوا دور الطفولة البشرية، وتخطوا مرحلة البلادة الفكرية التي اقتضت أنْ تكون معجزة البشرية في تلك المرحلة حسية[3].

الأمر الثاني: أن يتحدى الرسول(ﷺ) قومه بأن يأتوا بمثل ما جاء به، إن كانوا في شكّ من صدق الشهادة الربانية له. فأن ظهر لهم عجزهم عن المعارضة، علموا بأن ذلك من فعل الله تعالى.[4]

---

(1) سورة البقرة : من الآية 23.
(2) يُنْظَرْ:عناية القاضي وكِفَايَة الراضي حَاشِيَة الشهاب الخفاجي عَلَى تفسير البيضاوي . لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الخفاجي 8 / 106 .
(3) يُنْظَرْ: دراسات حول القرآن الكريم . د. إسماعيل أحمد الطحان: 92.
(4) يُنْظَرْ: المصدر السابق:33.

المعجزة ضربان: حسية، وعقلية.

أما الحسية فهي: ما كان خرق العادة فيها مما يدرك بالحس والعيان، كأن يكون ذلك من طريق السمع أو البصر ونحوهما، وأما العقلية فهي ما كانت بمثابة خطاب لعقل الإنسان، وذلك يعني أن هذا النوع من المعجزة إنما يدرك عن طريق العقل وهو يتلقى أخباراً في الإعجاز حول قضية من القضايا التي لا تذهب بذهاب الزمان، ومما يلاحظ أن معجزات النبيين الذين سبقوا خاتمهم محمداً (ﷺ) كان جلّها حسياً. ومن أمثلة ذلك[1]: انفلاق البحر بعد أن يضرب بالعصا، وانشقاق البحر لتكون في وسطه اثنا عشر طريقاً ثم إنزال المائدة من السماء على بني إسرائيل استجابة لدعاء عيسى (عليه السلام)، وفي ذلك إشارة واضحة على انحطاط في مستوى العقل والتفكير لدى هاتيك الأمم التي لا تصيخ إلا لخطاب الحسّ والمشاهدة والتي قليلاً ما تعبأ بخطاب العقل من الإعجاز الرفيع الراقي، إما معجزة الرسول محمد (ﷺ) فهي خير المعجزات وأعظمها، وهي كذلك أبقاها وأدومها، إنها المعجزة التي تظل مستديمة خالدة لا يأتي عليها الزمان والبلى ولا يؤثر فيها اختلاف الأحوال وتبدل الأجيال مهما امتد الدهر وطال[2]. من خلال ذلك يمكن أن نعّرف الفرق بين معجزة القرآن، وباقي المعجزات للأنبياء السابقين وذلك من خلال:

(1) في القرآن الكريم إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه عن حقائق الكون وأسراره.

(2) أن للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق.

(3) الأحكام الخاصة بمنهج العبادة.

(4) الأشياء المتصلة بقوانين الخلق والكون.

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القران الكريم :99، مباحث في إعجاز القران د. مصطفى مسلم :17.
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القران الكريم :99.

(5) انه يقدم لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى، فإذا ما كشف الله للبشر عن سرّ من أسرار كونه، جاءت الآيات لتؤدي المعنى نفسه.[1]

وللمعجزة شروط يجب أن تتوفر فيها وهي:

(1) أن يتحقق كونها من الأمور الخارقة للمعتاد والمألوف في قوانين الكون وأنظمته الدائمة.

(2) أن يتحدى بها الرسول من تناولتهم، دعوته وشملتهم رسالته.

(3) أن تعجز الأمة وجميع البشر عن المعارضة بمثلها على الصورة الخارقة التي تم تحديهما بها.

(4) أن لا يكون الأمر الخارق للعادة متضمناً تكذيب مدعي النبوة الذي جرى الأمر الخارق على يديه.[2]، وأن الله ﷻ حين بعث النبي محمد (ﷺ)جعل معجزته القرآن، وبنى أمر نبوته عليه. فَسُوَرٌ كثيرة و آيات تدل على هذا المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[3] فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، و لا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة.[4] وقوله عز وجل ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[5] فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجةً إلا وهو معجزة. فلا يمكن أن يكون القرآن الكريم من صناعة الشعر، فهم أهل ذلك الميدان لماذا لم يعارضوه إذا كان شعراً، وأن في التاريخ من حاول مثل هذه المحاولة فجاءوا في معارضة

(1) يُنْظَرْ :من روائع القرآن:87.
(2) يُنْظَرْ: دراسات حول القرآن الكريم . د. إسماعيل أحمد الطحان: 92.
(3) سورة إبراهيم الآية:1.
(4) يُنْظَرْ: الإتقان 116/2 ،إعجاز القرآن للرافعي:99.
(5) سورة التوبة: من الآية6.

القرآن بكلام لا يشبه القرآن بل نزلوا به إلى ضرب من السخف والتفاهة بادٍ عَوارهُ، باقٍ عارهُ.[1]

ولا يمكن القول بأنه رأى من الناس من هو أعلى منه كعباً في هذه الصناعة، إذا كان كذلك فما بال القرون الأولى؟ ينبئك التاريخ أن أحداً لم يرفع رأسه أمام القرآن في عصر من عصوره، وأن بضعة[2] النفر الذين أنفضوا رؤوسهم إليه باؤوا بالخزي والهوان، وسحب الدهر على آثارهم ذيل النسيان.[3]وأن قيل: قد علمت أنه لم يأت أحد بشيء في معارضته، ولكن ليس كل ما لم يفعله الناس يكون خارجاً عن قدرتهم، فربما ترك الإنسان فعلاً هو من جنس أفعاله الاختيارية لعدم قيام الأسباب التي من شأنها أن تبعث عليه، قلنا له: هذا الفرض لا ينطبق على موضوعنا بحال، لأن الأسباب الباعثة على المعارضة كانت موفورة متضافرة، وإن همم المعارضين بلغت حدودها، وكان أمر الرسول محمد (ﷺ) هو شغلهم الشاغل وهمَّهم الناصب،وإذا كان طلب المعجزات من القوم طلباً فيه تعنت أو شطط، أو رغبة في التفكه والتسلية بخوارق العادات، فإن الله جلّ وعلا لا يستجيب لطلبهم ولا يلتفت إليهم، وهو الحكيم القدير لذلك أمر الله رسوله محمداً (ﷺ) أن يقول لهم[4]: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[5].

وفي مجموع هذا الجواب رفض لتلبية مطالبهم المتعنتة، المتجاوزة حدود طلب البرهان على صدق الرسول.[6]

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن للرافعي:98.
(2) بضع: وهو ما بين الثلاث والعشر(أساس البلاغة 1 /41).
(3) يُنْظَرْ: الإتقان 116/2 .
(4) يُنْظَرْ : إعجاز القران :24.
(5) سورة الإسراء: من الآية93.
(6) يُنْظَرْ : إعجاز القرآن للرافعي:98.

المبحث الثالث

تاريخ البحث في إعجاز القرآن الكريم

المبحث الثالث

تاريخ البحث في إعجاز القرآن الكريم

اشتد الناس بعد النبي (ﷺ) حرصاً على القران الكريم وأعظمهم له فهماً ووعياً وأدراهم بأسباب نزوله وبمحكمهِ ومتشابهِ وناسخهِ ومنسوخهِ ومطلقهِ ومقيدهِ وخصوصه وعمومه وغير ذلك من علوم، هم الصحابة الأبرار، فهم الجيل المتميز الأول والرعيل السابق للإيمان، المطلع على مقاصد القران وأحكامه ومراميه وتأويلاته، وكذلك كان ثلّة من التابعين كسعيد بن المسيب[1] – رضي الله عنه- وعامر الشعبي[2] وغيرهما يعظمون تفسير القران الكريم ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إنهم من خيرة العالمين بتأويل القران الكريم ومقاصده.[3] وهناك ثمة تصنيفات في هذا المجال لفريق من العلماء كتبوا فيها عن إعجاز القران منهم الأديب البليغ الجاحظ المتوفى عام 255هـ، فقد صنّف في ذلك كتابه ((إعجاز القران))، ثم أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت 306 هـ).إذ صنف كتابه في شرح الإعجاز سماه((إعجاز القران)) وقد شرحه الجرجاني في مصنف له سماه ((المعتضد)). ثم أبو بكر عبد الله السجستاني المتوفى عام (316هـ) وهو الحافظ بن الحافظ وله مصنف في هذا الصدد اسمه ((نظم القرآن)).

ثم أبو بكر احمد بن علي المعروف بابن الإخشيد المعتزلي المتوفى(326هـ)وله مصنف سماه كذلك (نظم القرآن).ثم أبو الحسن المعروف بالرماني المتوفى

(1) محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي كان من الممتحنين امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة وكان كاسمه بالطاعات سعيداً ،ومن المعاصي والجهالات بعيدا وقد قيل إن التصوف التمكن من الخدمة والتحفظ للحرمة (حلية الأولياء/2 161).

(2) الفقيه القوي سالك السمت المرضى بالعلم الواضح المضى والحال الزاكي الوضى أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كان بالأوامر مكتفيا وعن الزواجر منتهيا تاركا لتكلف الأثقال معتنقا لتحمل الواجب من الأفعال (حلية الأولياء4/310).

(3) يُنْظَرْ:تفسير الجامع لأحكام القرآن:34/1.

عام(384هـ) وهو نحوي معروف وكانت له اليدّ في النحو واللغة والمنطق والكلام له تفسير كبير وقد روى عنه التنوخي والجوهري. ثم الخطابي وهو أبو سليمان احمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أحد المشاهير الأعيان والفقهاء المجتهدين المكثرين له مصنفات معالم السنّة وشرح البخاري، وغير ذلك، توفى عام (388هـ).[1]

وثم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى عام (403هـ) وهو رأس المتكلمين على مذهب الشافعي-رحمه الله-، وهو أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام يقال انه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدّة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة منها التبصرة ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه، وله في هذا المجال (إعجاز القران) وفيه من التفصيل والتوضيح والإفاضة ما يكشف عن أهمية هذا الكتاب ومدى إفادة الدارسين والباحثين. ثم عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة(471هـ) فقد كتب مؤلفه (دلائل الإعجاز)[2] ويضاف إلى ذلك ما ألفه في هذا المجال فخر الدين الرازي المتوفى عام(606هـ) وهو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري المعروف بالفخر الرازي احد فقهاء الشافعية.[3] وكذلك ما ألفه الأديب ابن أبي الإصبع المتوفى عام (654هـ)، ثم الزملكاني.[4]

(1) يُنْظَرْ : البداية والنهاية : 324/11.
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن للرافعي :170.
(3) يُنْظَرْ: البداية والنهاية : 13/ 55.
(4) يُنْظَرْ : إعجاز القران للرافعي :22.

المبحث الرابع

بيان إعجازه في الجملة

المبحث الرابع

بيان إعجازه في الجملة

ونقصدُ بكلمة الجملة قطع النظر عن أنواع الإعجاز القرآني، والأدلة التفصيلية الخاصة بكل منها. وإنما المراد هنا الوقوف على دليل علمي يصلح أن يكون برهاناً على ثبوت المعنى الكلي للإعجاز في القرآن الكريم، والشامل إجمالاً له.[1]

فيأتي إعجازه مرة بالتقريع[2] والتحميس[3] في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] وقال تعالى مهيجاً ومقرعاً ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5] إذن فهو معجز بالجملة وذلك للأسباب الآتية:

أ- إن آيات الله – عزّ وجلّ- ظلت مسجلة في كتاب الله تقرع أذان العلماء والأدباء فما استطاع واحد منهم أن يسجل إلى جانب هذا التحدي عملاً ما يصلح أن يقال انه قد عارض به القرآن.

ب- وقد تبين إعجازه بالجملة إن الناس منذ نزوله فريقان: فريق أعلن عجزه عن إمكان الإتيان بمثله أو بما يدانيه دون سابق تجربة أو محاولة وفريق

(1) يُنْظَرْ : روائع القران 151، نظم الدرر للبقاعي:77/9.
(2) من اقترعت بينهم إي إمرتهم ومن قرعت الشيء إي ضربته. (ينظر أساس البلاغة:305/1 معجم مقاييس اللغة :72/5).
(3)من حمس الشر ، إي اشتد (لسان العرب:57/6).
(4) سورة البقرة الآية:23.
(5) سورة الطور الآيات: 33 – 34.

جرّب وحاول وبذل كل ما يملك من جهد، فلم يأت من علمه بشيء، من خلال ذلك تتكامل ثبوت صفة الإعجاز في القرآن الكريم[1].

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القران للرافعي:97،الإتقان:88/7.

المبحث الخامس

وجوه إعجاز القرآن

المبحث الخامس

وجوه إعجاز القرآن

تباينت أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز،فمنهم من أوصلها إلى عشرة وجوه، ومنهم من جعل الإعجاز وجهاً واحداً ومن يتتبع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء قديماً وحديثاً يجد كثيراً منها تتداخل وتتشابه ويمكنه بعد الاستقراء أن يجمع بين كثير منها، وهذه الوجوه تدور حول الأداء البياني وأسلوب القرآن الكريم المتميز في ذلك[1]ومن تلك الوجوه ما يأتي:

(1) إن إعجازه بلفظهِ وبلاغتهِ وعجيب تأليفه، وسموه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الطوق البشري عن الإتيان بمثله،ألا ترى أن كلمة (الألم) تستعمل للدلالة على أنواع شتى من المشاعر والأحاسيس والمعاني، دون التفريق بين أنواع الألم.[2]

وكذلك (الجمال) فهو عالم واسع من المشاعر والصور والمعاني لا يمكن أن نعبر عن مشتقات هذه الكلمة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [3] فمن حيث الدلالة اللغوية مثل: هدوءاً، طمأنينة، ولكن المعنى الذي بثّه في شعورك للكلمة القرآنية، لا تجد شيئاً منه في غيرها مهما تساوى معها في أصل الدلالة اللغوية. [4]

(2)ومنهم من قال إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، كقوله تعالى في أهل بدر[5]﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[6] الإعجاز

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القران 221.
(2) ينظر : الإتقان:88/7.
(3) سورة الأنعام: من الآية96.
(4) يُنْظَرْ :من روائع القران 163-164.
(5) يُنْظَرْ: الإتقان:88/7.
(6) سورة القمر الآية:45.

بالتشريع: حيث ضمّ القرآن الكريم كل القوانين من قانون توثيق العهود، ونظام توزيع التركات والمواريث، وضبط السلم والحرب، مع دقة هذا التشريع وسعة ومقومات خلوده وصلاحيته.[1]

(3)أن القرآن لا يمل منه قارئ ولا سامع، وكل كلام غيره يعاف مع الترديد ويمج مع كثرة التكرار، لكن القرآن لا يزداد مع التكرار في القراءة إلا عذوبة فوق عذوبة، ولا يزيده الترديد على الدوام إلا الطلاوة والإشراق.[2]

ويمكن لنا أن نقول: أن القرآن - أولاً وآخراً - هو الذي صير العرب رعاة الغنم ساسة الشعوب وقادة للأمم، وهذا وحده إعجاز، فنرى غير المتعلم يطرب للقرآن ويجد فيه ما يرضيه، ونصف المتعلم يجد في القرآن ما يرضيه، والمتبحر في العلم يجد في القرآن إعجازاً يرضيه،وهذا من إعجاز القرآن، أن يقدم لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى، ومعلوم أن الإيمان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم فأنقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله.[3]

ومن معجزات الأنبياء ما يأتي:

معجزة سيدنا صالح (عليه السلام):

ومعجزته: أن يستدعي صخرة في الجبل فتخرج منها ناقة لها جميع صفات النوق، ثم إن الله القادر أجرى على يدّ سيدنا صالح (عليه السلام): هذه المعجزة فكانت طريقة وجود هذه الناقة من الأمور الخارقة للعادة. وأرسل على قوم ثمود، حيث فتح الله عليهم أبواب النعمة، وكانوا قد مهروا في بناء القصور، ولكنهم عبدوا الأوثان وعتو عتواً كبيرا.[4] فما به كان الشاعرُ مُفْلِقاً، والخطيبُ مِصْقَعاً والكاتبُ

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القران للرافعي 43.
(2) يُنْظَرْ:المصدر للباقلاني :170.
(3) يُنْظَرْ :من روائع القران :163-164
(4) يُنْظَرْ: إعجاز القران للباقلاني 44.

بَليغاً. ورأينا العقلاءَ حيث ذكروا عجزَ العربِ عن معارضةِ القرآن قالوا: إن النبي تحدَّاهم وفيهم الشّعراءُ والخطباءُ والذين يُدلُّون بفصاحةَ اللسان، والبَراعةِ، والبيان، وقوَّةِ القرائح والأذهان، والذين أُوتوا الحكمةَ وفصلَ الخِطابِ. ولم نَرهم قالوا: أن النبي عليه السّلام تَحدَّاهُم وهم العارفون بما يَنبغي أن يُصنعَ حتى يسلمَ الكلامُ من أن تلتقيَ فيه حُروفٌ تثقلُ على اللّسان، ولَما ذكروا مُعجزاتِ الأنبياء عليهم السّلام.[1]

معجزات موسى (عليه السلام):

حيث أرسل إلى فرعون وقومه، ومعجزاته:

أ- انقلاب عصاه حية تسعى، أن يدخل يدّه في جيبه ثم يخرجها، فإذا هي بيضاء من غير سوء.

ب- معجزة (الرجز) أي العذاب، معجزة فلق البحر.

ج- ومعجزة بعث جمهور من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة.

د- معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ليعطوا الميثاق على ما في الألواح معجزة إنعام الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل بطريقة تخالف مجرى العادات الكونية. إلى آخر المعجزات، كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن للأزمة، أي لتدل على أنهم صادقون فيما يبلغون[2].

(1) يُنْظَرْ: دلائل الإعجاز 342/1، من روائع القران :167-168.
(2) يُنْظَرْ:مناهل العرفان في علوم القرآن 238/2، من روائع القران :163-164.

معجزة عيسى (عليه السلام):

إذ أيد بخوارق للعادات باهرة ومنها: يخلق من الطين كهيئة الطير، يمسح على الأبرص فيشفيه بأذن الله عزوجل [1].

اللهم إنه دينك الذي شرعته بكتابك المعجز، بل دين الإنسانية الذي قلت فيه ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القران للباقلاني:98.
(2) سورة الروم الآية:30.

المبحث السادس

الصـــرفـــــة

المبحث السادس

الصـــرفـــة

الصرفة عند أهل اللغة: بدأت بحوث اللُّغويين والمتكلمين في قضية الإعجاز تتبلور بشكل محدد قرب نهاية القرن الثاني الهجري بعد فتنة خلق القرآن التي أثيرت في عهد المأمون بصورة وما خلفته هذه الفتنة من مآسٍ معروفة[1].

غير أنَّ هذه الفتنة امتدت فيما تلا ذلك من سنوات، وتمخضت عن اتجاهات فكرية عدة تمثلت في تبني المعتزلة ممثلين في النَّظَّام (ت 200هـ) لفكرة " الصرفة "، ومعناها: أنَّ إعجاز القرآن كان بصرف الله تعالى للعرب أنْ يأتوا بمثله، وبهذا القول قال كثير من المعتزلة بعد ذلك، بل وقد قال به بعض المفسرين والعلماء من غير المعتزلة، إلاَّ أنَّ الردّ على هذه الفكرة ميسور، لأن الإعجاز لو كان بالصرفة فمعناه أنَّ القرآن بذاته غير معجز، والإعجاز قائم على قدرة الله تعالى. وهذا ما لا تدل عليه آيات التحدي[2].

ورد على ذلك ابن عاشور ضمناً قائلاً: " فعجز جميع المتحدين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توافر دواعيهم عليها "[3].

وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأنَّ الله تعالى صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي، لتقوم الحُجَّة عليهم، بمرأى ومسمع من جميع العرب، ويعرف هذا القول بالصرفة كما تقدم.

---

(1) يُنْظَرْ: تَارِيْخ بَغْدَاد ، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن علي الْخَطِيب البَغْدَادي 74/10 .
(2) يُنْظَرْ: إعجاز الْقُرْآن، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر الباقلاني 8 /12.
(3) التَحْرِير والتَنْوِير، لمُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور، 103/1.

واختلف من قال بها، هل صُرفوا عن القدرة على معارضته، أو صُرفوا عن معارضته مع دخوله في مقدورهم، على قولين[1]:

أحدهما: أنهم صُرفوا عن القدرة، ولو قدروا لعارضوه.

والقول الثاني: أنهم صُرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم.

والصرفة إعجاز على القولين معاً في قول من نفاها وأثبتها فخرقها للعادة فيما دخل في القدرة.

فإن قيل: فإن عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما تقاربه وإن نقص عن رتبته، والمعجز ما لم يمكن مقاربته كما لا يمكن مماثلته ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن مقاربته تكون بما في مثل أسلوبه إذا قصر عن كماله والأسلوب ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الإعجاز.

والثاني: أن المقاربة تمنع من المماثلة والتحدي، إنما كان بالمثل دون المقاربة[2].

ونسب القول بالصرفة إلى الأشعري فيما حكاه أبو الفضل عياض في كتابه الشفا وإلى النَّظَّام والشريف المرتضى، وأبي إسحاق الاسفرائني فيما حكاه عنهم عضد الدين في المواقف[3]. وقد عزاه إلى كثير من المعتزلة، وهو قول ابن حزم صرح به في كتاب الفِصَل[4].

والذي عليه جمهرة أهل العلم والتحقيق، واقتصر عليه إمام الحرمين، وعليه الجاحظ وأهل العربية كما في " المواقف " ؛ فالتعليل لعجز المتحدين به بأنه بلوغ

(1) يُنْظَرْ: أَعْلام النبوة ، لأبي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي 121 .
(2) يُنْظَرْ: المصدر نفسه : 121 .
(3) يُنْظَرْ: شَرْح المواقف : 384/3 .
(4) يُنْظَرْ: الفصل فِي الملل والأهواء والنحل لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد بن سعيد بن حزم الظاهري(ت 548هـ) مكتبة الخانجي . القاهرة . (د . ت) : 7/3 .

القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله[1].

بعد هذه المقدمة نقول:أن مادة (صرف) عند أهل اللغة يدور معناها حول الرجوع والتحول والتقلب، والمنع من جهة إلى جهة أخرى، فقد ورد في معجم "مقاييس اللغة " تحت مادة (صرف) قوله: " صرف " معظم بابه يدلّ على رجع الشيء، من ذلك صرفتُ القوم صرفًا وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعُوا، والصَّرف في القرآن: التوبة ؛ لأنه يُرجع به عن رتبة المذنبين والصَّرف: فَضْل الدّرهم على الدرهم في القيمة، ومعنى الصَّرف:أنه شيء صُرف إلى شيء، كأن الدِّينار صُرف إلى الدّراهم، أي رُجع إليها، إذا أخذت بدَله، ومنه اشتُقّ: اسم الصَّيرفي: لتصريفه أحدهما إلى الآخر، وصَرْف الكلام: تزيينه والزّيادةُ فيه، وإنما سُمّي بذلك ؛ لأنه إذا زُيّن صَرَف الأسماعَ إلى استماعه .[2]

وفي اللسان: "الصَّرف: ردُّ الشئ عند وجهه، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فانصَرَف، وصَارَف نفسه عن الشئ: صَرَفها عنه، ومنه: التصرُّفُ في الأمور، وصرّفنا الآيات: أي بيّناها، وتصريف الآيات: تبيينها، والصرّفُ: أن يَصرفَ إنسانًا عن وَجْهٍ يُريدُه إلي مَصرفٍ غير ذلك، وصرّفَ الشيء: أعملَه في غير وجهٍ، كأنه يصرفُه عن وجهٍ إلي وجهٍ، وتصرّف هو، وتصريف الرياح: صَرْفُها من جهةٍ إلي جهةٍ[3].

وفي " المفردات في غريب القرآن " تحت كلمة (صرف) الصرْف: ردُّ الشيء من حالة إلى حالةٍ أو إبدَالُهُ بغيره، يُقال: صرفتُهُ فانصرف، ومنه تصريف الكلام

(1) يُنْظَرْ: شَرْح المواقف ، لعضد الدِّين عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَحْمَد الإيجي . (ت 756ه) . وشرحه أبو الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، 384/3 .
(2) يُنْظَرْ: مقاييس اللغة،لابن فارس 342/3 ، لسان العرب:99/9.
(3) يُنْظَرْ: لسان العرب 4/ 2434.

وتصريف الدراهم، ولنا به صريفٌ، و لكل خالص عن غيره صِرفٌ، كأنه صُرف عنه ما يشُوبه .[1]

وفي " معجم ألفاظ القرآن الكريم " جاء الصريف: السعف اليابس، والصّرف: ردّ الشيء من حال إلى حال، ومن الردّ تجيء استعمالات كثيرة: كصرف النقود أي تغييرها، والصرف بمعنى إخلاء السبيل، وصرْف القلوب: تحويلها عن الهداية[2].

الصرفة في الاصطلاح:

إنّ المفهوم المتبادر إلى الأذهان من القول بالصرفة، وهو أن الله تعالى صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم على معارضته، وهذا لا يؤيده القرآن الكريم نفسه، حيث أن آيات التحدي التي ذكرت فيه كثيرة ومتعددة، والقول بالصرفة مقيداً بهذا المفهوم لا يتناسب مع هذه الآيات؛ إذ كيف يتحداهم، ويطلب منهم الإتيان بمثله وفي الوقت ذاته يمنعهم من ذلك؟. إن هذا المفهوم للصرفة لا يناسب حال العرب الذين شوفهوا بالقرآن الكريم، وتُحدوا به؛ لأن من شرط التحدي أن يكون الخصم متمكناً من الجهة التي تتحداه بها، وإلا بطل التحدّي.[3]

إن المفهوم الصحيح لهذا المصطلح، والذي تطمئن إليه النفس، ويتفق مع آيات التحدي، ويتلاءم مع الحسّ اللغوي والإعجاز القرآني. هو أن الله تعالى صرف عقول الكفار عن فهم وتدبر آيات القرآن، بل حتى عن سماعه كما سجل ذلك عليهم قائلا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[4] وبذلك تم الحفظ لمعجزة القرآن الكريم من شغبهم وتشويشهم وتكذيبهم، ومن ثم نستطيع التوفيق بين المؤيدين للقول به، والمعارضين له.[5]

(1) يُنْظَرْ : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، 279.
(2) يُنْظَرْ: معجم ألفاظ القرآن الكريم ،70/2 .
(3) يُنْظَرْ : إعجاز الْقُرْآن ، للباقلاني 88/7.
(4) سورة فصلت الآية 24 .
(5) يُنْظَرْ : إعجاز الْقُرْآن للباقلاني :66/9.

ومما يؤيد هذا الفهم لهذا المصطلح، ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات كان من الممكن لو تنبّه لها أعداؤه لشوشوا عليه، ومن ثم نقول إن الله منعهم وصرفهم عن ذلك.[1]

فمن ذلك قوله تعالى:

1- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

إن الله عز وجل قد صرّح في هذه الآية بأن هؤلاء القوم لا يؤمنون مهما فعل معهم من ترغيب أو ترهيب، ولو فكروا قليلا في هذه الآية وأمثالها، وقالوا: يا محمد إذا كنت تدعي بأن هذا الكلام ليس من عندك، وأنك تزعم بأننا لم نؤمن لك بِناءً على هذا الكلام الذي تلقيه على أسماعنا، فإننا الآن نؤمن لك، ونشهد بك وهنا يكون الشغب والتشويش على هذه المعجزة القاهرة، ولكن الله عز وجل قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم و جعل على أبصارهم غشاوة. [3]

يقول صاحب إشارات الإعجاز معلقاً على هذه الآية " (الذين) هنا إشارة إلى صناديد الكفر أمثال أبي جهل وأبي لهب وأمية بن خلف، وقد ماتوا على الكفر... وأمثال هذا لمعاتٌ يتولد منها نوعٌ من أنواع الإعجاز القرآني [4].

2 ـ ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [5].

3 ـ كذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[6] يقول صاحب كتاب " بصائر ذوي التمييز معلقاً على ذكر قوله تعالى (ولا أنتم عابدون ما أعبد) في هذه السورة وبيان سرّ تكرارها قائلا: هذا التكرار اختصار، وإيجاز، هو إعجاز ؛ لأنه

(1) يُنْظَرْ : دلائل الإعجاز:99/8.
(2) سورة البقرة الآية 6.
(3) يُنْظَرْ : إعجاز القران للرافعي:166.
(4) يُنْظَرْ إشارات الإعجاز92 .
(5) سورة البقرة الآية :145.
(6) سورة : الكافرون الاية :1.

نفي عن نبّيه (ﷺ) عبادة الأصنام في الماضي، والحال، والاستقبال، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضا، فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ستَّ مرّات فذكر لفظ الحال ؛ لأن الحال هو الزمان الموجود، واسم الفاعل واقع موقع الحال، وهو صالح للأزمنة كلها واقتصر من الماضي على المسند إليهم، فقال (ولا أنا عابد ما عبدتم)، ولأنّ اسم الفاعل بمعنى الماضي فعلٌ على مذهب الكوفيين[1]، (لكم دينكم ولي دين) على الإسكان والحركة فإن كان ما قبل هذه الياء ساكنا فالحركة فيها لا غير لئلا يلتقي ساكنان، فاقتصر من المستقبل على المسند إليه[2] فقال (ولا أنتم عابدون ما أعبد)، وكان اسم الفاعلين بمعنى المستقبل، وهذا معجزة للقرآن الكريم وبرهان .[3]

4 ـ ومن ذلك أيضا قوله عز وجل: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[4]

فعبد العزى بن عبد المطلب عمّ رسول الله (ﷺ) والذي كان من أشدّ الناس عداوة له، لو أنه رجع عن عداوته لرسول الله (ﷺ) وأعلن إسلامه أمام قومه ولو نفاقاً، وقال لرسول الله (ﷺ): إنك يا محمد تدّعي بأن الإسلام يجبّ ما قبله، وكتابك يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾"[6]

وتأييداً لكلامه عزّ وجلّ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[7]

ولذلك جاء قوله (وتب) بعد الجملة الدعائية لتؤكد ثبوت هذا الهلاك والخسران الذي أعدّه الله ـ عزّ وجلّ ـ لهذا الرجل، وأنه كائن له لا محالة، التباب:

---

(1) يُنْظَرْ : المقتضب 95/4.
(2) يُنْظَرْ : سر صناعة الإعراب :88/9.
(3) يُنْظَرْ: بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي 1/ 548 .
(4) سورة المسد الاية :1.
(5) السيرة النبوية لابن هشام 33/4، وسورة الأنفال الآية:38 .
(6) سورة الأعراف الآية :179.
(7) سورة محمد الآية :24.

الهلاك. ومنه قولهم: أشابة أم تابة، أي: هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى: هلكت يداه، لأنه فيما يروى: أخذ حجراً ليرمي به رسول الله ﷺ) وَتَبَّ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته وَتَبَّ،وكان ذلك وحصل[1].

يقول الإمام محمد عبده (في تفسيره جزء عم)، إن مجئ قوله (وتب) بعد قوله (تبت يدا أبي لهب) لبيان أن ما ادعى به عليه لم يكن لمجرد نكايته وإظهار مقته وشدة الغضب عليه، كما جرت به سنّة العرب في كلامهم، بل هذا دعاء، فيه ما تعرفه العرب، وفيه مع ذلك أنه أمر واقع، فإن أبا لهب قد هلك أو خسر بالفعل، والواو في قوله (وتب) أي: وهو قد تب.[2]

وأمثال تلك الآيات التي تضمنها القرآن الكريم من الإخبار عن هؤلاء القوم، وموقفهم منها كثيرة جداً وإنما ننبّه بالبعض على البعض. هذا، وأعتقد أنه لو فهم وجه الصرفة بهذا المفهوم الذي ذكرناه ورجحناه له، لتغيرت النظرة له، وكان يمكن قبوله وجهاً من وجوه الإعجاز المتعددة للقرآن الكريم، ومن ثم يسلم من الاعتراض الذي وُجه إليه من كثير من العلماء السابقين[3].

(1) يُنْظَرْ:الكشاف 88/4.
(2) يُنْظَرْ: تفسير جزء عم للإمام محمد عبده ، 174 .
(3) يُنْظَرْ: الصرفة وجه من وجوه الإعجاز عرض ـ وتحليل ـ ونقد د.احمد محمد 22-33

المبحث السابع

التحدي

المبحث السابع

التحدي

كان العرب قد بالغوا لعهد القرآن مبلغهم من تهذيب اللغة، ومن كمال الفطرة، ومن دقّة الحسن البياني، حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلاً واحداً باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق، فجاء القرآن الكريم أفصح كلام وأبلغه لفظاً وأسلوباً ومعنى، ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقودة بالألسنة يومئذ فهو لا ينتهي إلى هذه الوحدة ولا يستولي عليها إلا إذا كان أقوى منها فيما هي قوية به، بحيث يشعر أهلها بالعجز والضعف والاضطراب شعوراً لا حيلة فيه للخديعة والتلبيس على النفس، والتضريب[1] بين الشك واليقين.[2]

حيث جاء التحدي على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تحدّاهم أن يأتوا بمثله كلّه مجتمعاً. يقول سبحانه في ذلك ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

المرحلة الثانية: تحدّاهم القرآن أن يأتوا بعشر سور من مثل سورة فقال سبحانه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[4].

المرحلة الثالثة: تحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سورة أياً كانت هذه السورة، قصيرة أو طولية. مكيّة كانت أو مدنية، فقال سبحانه: ﴿

(1) التضريب بين القوم: الإغراء (يُنْظَرْ: لسان العرب 5/1).
(2) يُنْظَرْ: إعجاز القران للرافعي:166.
(3) سورة الطور الآيات:33-34.
(4) سورة هود الآيات:13-14

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [1]، (ولئن كان العرب الأوائل وهم الفصحاء والبلغاء وفيهم جهابذة البيان ومصاقع الخطابة قد نكصوا على أعقابهم لما سمعوا القرآن يتحداهم، وأصدق دليل على ذلك ما قاله أحد عباقرة البيان في زمن الفصاحة والخطابة، وهو الوليد ابن المغيرة (والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وان أسفله لمغدق، وان أعلاه لمثمر وانه ليعلو ولا يعلى سمعت قولاً يأخذ القلوب).[2]

ويمكن أن نستخلص: إن التحدي قائم طوال حياة رسول الله (ﷺ) وأن المشركين عجزوا عن الإتيان بمثله أو مثل بعضه وهو عجز يدل عليه النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جحود هذا الأمر، والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحداهم إليه حتى طال التحدي، وجعله دلالة على صدقه (ﷺ) ونبوته، وضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم من حكمة بأمر قريب، هو عادتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي، فلما لم تحصل هناك معارضة منهم علم أنهم عاجزون عنها.[3]

إذن: كان عجزهم حقيقة لا جدال حولها، وكان عجز غير العرب عن ذلك أوضح، لأن العرب – وهم المتكلمون باللغة المنزل بها- عجزوا عن ذلك مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، وصدق الله العظيم إذ قال:﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن

(1) سورة البقرة الآيات:23-24.
(2) الإصابة في تمييز الصحابة:245/2.
(3) يُنْظَرْ:إعجاز القران للرافعي 165.

﴿ يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1] وقد تناهى العجز من أهل الأرض جميعاً وهم في ذلك نفس واحدة [2].

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3].

دراسة مراحل التحدي:

وإذا أردنا أن ندرس مراحل التحدي لنرى ما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف، فأننا نجد ما يأتي:

(1) إن هذه المراحل كلها جاءت تعلن التحدي بكل قوة وثقة.

(2) إن المراحل الثلاث الأولى كلها مكيّة التنزل.

(3) إن مراحل التحدي خوطب بها العرب، لأنهم هم المتحدون في هذه المراحل.

وبعد هذه الدراسة لمراحل التحدي نقرر مطمئنين أن وجوه الإعجاز متعددة من حقائق علمية وكونية، ومن حيث ما فيه من أخبار الأمم السابقة، ومن أخبار غيب المستقبل، ومن حيث تأثيره في النفوس، وغيرها مما ستعلم نبأه بعد حين إن شاء الله تعالى، وكيف لا يتحدى القرآن الكريم العرب حيث قال عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [4]، فأن مشهد الليل وما فيه من سبات، والنهار وما فيه من حركة وانبعاث، فإن الإنسان له علاقة بهذا الكون لما فيه من توافق وتناسق.[5] فهذه الآيات وغيرها تعلن أسرهم أمام روعة النصّ القرآني،

(1) سورة الإسراء الآية:88.
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القران للرافعي 165.
(3) سورة لقمان الآية :27.
(4) سورة لقمان الآية :27.
(5) يُنْظَرْ:إعجاز القران للباقلاني:99.

فالقرآن الكريم يفيض بالتصوير الحسي في تجسيد المشهد الواحد، فكيف بالقرآن الكريم بأجمعه.[1]

(1) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي 55/7.

المبحث الثامن

الإعجاز اللغوي

المبحث الثامن

الإعجاز اللغوي

تعريف الإعجاز اللغوي:

الإعجاز لغة:

مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز[1].وكلام أهل اللغة في معناها يدور حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عمّا يجب فعله، قال: ابن منظور: (العجز: نقيض الحزم، والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز عدم القدرة) [2] ومقتضى آخر الكلام فيما ساقه صاحب اللسان أن العجز أعم من أن يكون ضعفا وانعدام قدرة،وإنما يمكن أن يعني ترك الأمر تسويفا، مما يفهم منه أن ما ترك في حيز القدرة عليه، لكن الباعث على تركه هو الكسل الحامل على التأجيل والتسويف، لكن لنا في أصالة معنى العجز في الدلالة على عدم القدرة، وأن ترك الفعل عجزاً إنما يكون لعدم القدرة عليه في الأصل.[3] في ذلك حديث رسول (ﷺ): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ) [4].

قال ابن حجر- رحمه الله تعالى- (إن الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط)[5].

(1) يُنْظَرْ: المصباح المنير، 149.
(2) لسان العرب،99/1 مادة (عجز).
(3) يُنْظَرْ:عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، د. محمد راضي جبريل:87.
(4) صحيح البخاري: 88/6، كتاب الرقاق، بَاب التَّعَوُّذِ من عَذَابِ الْقَبْرِ،رقم الحديث(6003).
(5) يُنْظَرْ: فتح الباري 66/7.

فيمكن أنّ نقول: الجمع في الحديث بين الاستعاذة من كل من العجز والكسل فيه دلالة على تغاير المعنى فيهما، فالأول عدم القدرة، والثاني عدم النشاط والنهوض للأمر.

وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه) [1]إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن الكريم، ومنهما يكون مصطلح: (إعجاز القرآن) كما سبق بيانه يكون المراد: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي، ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح إذا عرفنا أن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حقّ، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول (ﷺ). [2]

والإعجاز في الاصطلاح له تعريفات عدّة:

أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[3].

وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: وإنما الإعجاز شيئان:

1 - ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدّة الإنسان واتصال عنايته.

(1) لسان العرب 54/6:مادة عجز.
(2) يُنْظَرْ:عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :98.
(3) يُنْظَرْ: التعريفات :78، البيان في إعجاز القرآن ، 23-31.

2 - ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت[1] في قوانين البشر حين تتحدى إنساناً تأتي من خلال دراسة نقاط ضعفه، وهذا حتى في الحرب موجود فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: ((هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ وَلَتُقْسَمَنَّ كنوزهما في سَبِيلِ اللَّهِ وَسَمَّى الْحَرْبَ خَدْعَة) [2].

أما الله سبحانه وتعالى أتى البشر من المواطن التي ظنوا قوتهم فيها، على سبيل المثال، معجزة عيسى (عليه السلام) بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في قوم اشتهروا بالبراعة في الطب، و معجزة إبراهيم (عليه السلام) بإبطال السبب المادي الذي اعتمدوا عليه ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [3]، وكذلك أتى(الله سبحانه و تعالى) معجزة القرآن الكريم لمحمد(ﷺ)، في قوم كانت الفصاحة براعتهم وتنافسهم، حتى أنهم علقوا على الكعبة المشرفة ما يسمى (بالمعلقات السبع) تكريما لأفضل الشعراء.[4] فتحداهم الله عزذ وجلّ قائلا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[5].

فالله (عز وجل) أحكم الحاكمين لا يأتي بالشيء إلا في موعده المناسب بحكمته والتدرج سنته سبحانه وتعالى، وقد جاء القرآن الكريم بختام الرسالات السماوية للبشر وجاء كذلك ختاما للمعجزات السماوية على يدّ الأنبياء، فحق أن تأتي المعجزة عقلية سامية حتى تتلمسها الأجيال، وحفظها الله(عزوجل) من التحريف والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [6]، وذلك من تمام المعجزة وخلودها،إذ جاء القرآن الكريم مرتبطاً بحياة الأفراد وجامعاً لشتى العلوم من عقائد وعبادات وأخلاق وسياسة

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن للرافعي، 139.
(2) صحيح البخاري 1102/3، كتاب الإيمان ،باب الحرب خدعة رقم الحديث ((54)).
(3) سورة الأنبياء 69.
(4) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن للباقلاني،96/9.
(5) سورة البقرة الآية 23.
(6) سورة الحجر الآية 9.

وجغرافيا وتاريخ...الخ، وجاء شافياً لأمراض القلوب من حيرة وقلق ونصب على الدنيا، وداعياً لجنة عرضها السماوات والأرض ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (1).

ولذلك نجد المجتمع الغربي على ما هو عليه من الترف إلا أنه يعاني من الحيرة و القلق، وذلك لبعدهم عن منهج الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾(2)، وعلى سبيل المثال نجد أعلى نسبة أمراض نفسية وعقلية توجد في المجتمعات الغربية، أما عن الجرائم و الانتحار فحدث ولا حرج، وفي الختام لابد أن يأتي بالخير من قبل أهل الخير، ولله المثل الأعلى، فكان ختام الرسالات السماوية بخير رسالة وأسمح شريعة وأيسرها وأعظمها سمواً ورسولها (ﷺ) أعظم الرسل، وكتابهم القرآن الكريم خير الكتب ومهيمناً على ما قبله من الكتب ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ (3).

(1) المائدة :15 – 16.
(2) سورة طه :124.
(3) سورة المائدة الآية :48، وينظر الإعجاز اللغوي في القران الكريم،99/9.

من خلال ما تقدم يمكن أنّ نتكلم عمّا يأتي:

1- إنفراد العربية بالإعجاز:

قال الباقلاني[1] (رحمه الله):

(ويمكن بيان ذلك بأنا لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد من الأسماء ما تعرف من اللغة العربية، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمالات البديعة). [2] ومن دقيقِ ذلك وخَفيَّه أنك ترى الناسَ إذا ذكروا قولَه تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [3] لم يَزيدوا فيه على ذِكْرِ الاستعارةِ، ولم ينسبوا الشرفَ إلاّ إليها، ولم يَرَوا للمزيَّةِ مُوجباً سِواها. هكذا ترى الأَمرَ في ظاهرِ كلامِهم، وليس الأمرُ على ذلك. ولا هذا الشَّرفُ العظيمُ، ولا هذه المزيةُ الجليلةُ وهذه الرَّوعةُ التي تدخُلُ على النُّفوس عند هذا الكلامِ لمجرَّدِ الاستعارة. ولكن لأنْ سُلِك بالكلام طريقُ ما يسندُ الفعْلُ فيه إلى الشيءِ، وهو لِما هو من سَبَبِهِ فيُرفعُ به ما يسندُ إليه، ويؤتَى بالذي الفعلُ له في المعنى، منصوباً بَعده مبيناً أنَّ ذلك الإسنادَ، وتلك النسبةَ إلى ذلك الأولِ إنَّما كانَ من أجلِ هذا الثاني، ولما بينَه وبينَه منَ الاتِّصالِ والمُلابسةِ، كقولهم: طابَ زيدٌ نفساً، وقرَّ عَمْرٌ و عَيْناً، وتَصبَّب عرقاً، وكَرُم أصلاً.[4]وكذلك في قوله تعالى ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [5] فما فائدة التكرار هنا؟ ذهب ابن جماعة بالقول: أما توكيد الخبر أو سيعلمون ما يلقون في الآخرة؛ فالجديد في لغة القرآن الكريم أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق

---

(1) محمد بن الطيب ابوبكر الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب الشافعي وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة منها التبصرة ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه وشرح الابانة وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ومن أحسنها كتابه في الرد على الباطنية الذي سماه كشف الأسرار وهتك الأستار (انظر:البداية والنهاية 350/5).

(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن، للباقلاني،66/8.

(3) سورة مريم الآية: ٤.

(4) يُنْظَرْ:دلائل الإعجاز92/1.

(5) سورة النبأ الآيات: ٤ – ٥.

بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حولا..وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان [1].

2- اشتماله على المعاني الدقيقة:

إنّ من دقة اللفظ في القرآن الكريم يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بان هذا المكان كأنما خلقت له، تلك الكلمة بعينها وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفيه المعنى الذي وفت به أختها فكل لفظة وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن الكريم ترادفاً بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً، ولما بين الكلمات من فروق ولما يبعثه بعضها في نفس من إيحاءات خاصة دعا القرآن الكريم ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة (راعنا) لها معنى في العبرية مذموم نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] فالقرآن شديد الدّقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى.[4]

وتنكير كلمة حياة في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [5] يعبر يعبر تعبيراً دقيقاً عن حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة يعيشونها مهما كانت

(1) يُنْظَرْ : كشف المعاني ، لابن جماعة 317.
(2) سورة الحجرات الآية 14.
(3) سورة البقرة الآية: 104.
(4) يُنْظَرْ: من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي، 77/8 .
(5) سورة البقرة الآية: 96.

حقيرة القدر ضئيلة القيمة وعندما أضيفت هذه الكلمة إلى ياء المتكلم في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ عبرت أدق تعبير عن شعور الإنسان يومئذ وقد أدرك في جلاء ووضوح أن تلك الحياة الدنيا لم تكن إلا وهماً باطلاً وسراباً خادعاً أما الحياة الحقة الباقية فهي تلك التي بعد البعث لأنها دائمة لا انقطاع لها فلا جرم أن سماها حياته وندم على انه لم يقدم عملاً □الحاً ينفعه في تلك الحياة.[1] ومن دقة التمييز بين معاني الكلمات ما نجده من الفرق في الاستعمال بين يعلمون ويشعرون ففي الأمور التي ترجع إلى العقل وحده أمر الف□ل فيها تجد كلمة يعلمون □احبة الحقّ في التعبير عنها ؛ أما الأمور التي يكون للحواس مدخل في شانها فكلمة (يشعرون) أولى بها.[2]

وتأمل لذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، فالسفاهة أمر مرجعه إلى العقل وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾[7]، إلى غير غير ذلك مما يطول بي أمر تعداده إذا مضيت في إيراد كل ما استخدمت فيه كلمة يعلمون وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾[8] فمن الممكن أن يرى الأحياء وأن يحس بهم وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ

(1) يُنْظَرْ: كشف المعاني ، لابن جماعة 86.
(2) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(3) سورة البقرة الآية: 13.
(4) سورة البقرة الآية: البقرة 77.
(5) سورة الأنعام الآية 114.
(6) سورة الأنبياء الآية :24.
(7) سورة النور الآية: 25.
(8) سورة البقرة الآية : 154.

﴿ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [1]، فالعذاب مما يشعر به ويحس وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [3]، وقوله تعالى: (وقلت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وغير ذلك كثير لا يتسع المقام لذكره.

واستخدم القرآن الكريم كلمة التراب، ولكنه حين أراد هذا التراب الدقيق الذي لا يقوى على عصف الريح استخدم الكلمة الدقيقة، وهي الرماد فقال: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [4] كما انه آثر عليها كلمة الثرى عندما[5] قال: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [6] لأنه يريد على ما يبدو من سياق الآيات الكريمة الأرض المكونة من التراب،وهي من معاني الثرى فضلاً عما في اختيار الكلمة من المحافظة على الأوزان اللفظية في فواصل الآيات.[7]

(1) سورة الزمر الآية: 55.
(2) سورة البقرة الآيات:11- 12.
(3) سورة النمل الآية: 18.
(4) سورة إبراهيم الآية: 18.
(5) يُنْظَرْ:دلائل الإعجاز72/1.
(6) سورة طه الآيات 4 – 6.
(7) يُنْظَرْ: كشف المعاني، لابن جماعة 55.

3- عدم الاختلاف والتناقض:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [1].

قال الحافظ ابن كثير[2] (يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾، ثم قال (ولو كان من عند غير الله " أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله عزوجل)[3] في فتح القدير للإمام الشوكاني[4] ما نصّه (تفاوتاً وتناقضاً، ولا يدخل في في هذا اختلاف مقادير الآيات، والسور؛ لأن المراد اختلاف التناقض والتفاوت، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال، وتعرّض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحاً مطابقاً للواقع إلا القليل النادر) [5].وقال الفخر الرازي[6]: (أي لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في

---

(1) سورة النساء الآية: 82.

(2) الحافظ عماد الدين بن الخطيب شهاب الدين المعروف : بالحافظ ابن كثير ولد سنة سبعمائة وقدم دمشق وكان كثير الاستحضار وقليل النسيان (يُنْظَرْ:أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم 89/9 ، صديق بن حسن القنوجي دار الكتب العلمية بيروت ، 1978تحقيق : عبد الجبار زكار).

(3) تفسير القرآن العظيم 33/4.

(4) الشوكاني: أبو عبد الله الشوكاني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني المالكي من أهل شوكان إحدى قرى خابران كان من أهل الخير والصلاح ووالده أبو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان سمع أباه أبا طاهر وأبا الفضل محمد بن أحمد ابن أبي الحسن العارف الميهني كتبت عنه شيئا يسيرا بشوكان وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمئة إن شاء الله وتوفي ليلة السبت الثامن من شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة بشوكان 2 /75
(ينظر:التجبير في المعجم الكبير ، الامام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي: رئاسة ديوان الأوقاف بغداد 1395هـ- 1975م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : منيرة ناجي سالم)

(5) فتح القدير 99/2.

(6) الإمام الحافظ المحقق أبو بكر الفضل بن العباس الرازي صاحب التصانيف روى عن عيسى بن ميناقالون وعبدالعزيز الأويسي وقتيبة بن سعيد وهدبة بن خالد وطبقتهم حدث عنه أبو

الفـاحة والركاكة). [1]و قال البيضاوي[2] ما نـصّه:(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله)، (أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار (لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً) من تناقض المعنـى وتفـاوت الـنظم، وكـان بعضـه فـيحاً وبعضـه ركيكـاً، وبعضـه يـعب معارضـته وبعضـه يسـهل، ومطابقـة بعـض أخبـاره المسـتقبلة للواقـع دون بعـض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دلّ عليه الاستقراء لنقـان القوة البشرية. ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمـالح). [3]

عوانـه الإسـفراييني وأبـو بكـر الخرائطـي ومحمد بـن مخلـد العطـار ومحمد بـن جعفـر المطيـري وآخرون سير أعلام النبلاء 12 /630، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي).

(1) تفسير الرازى99/4.

(2) محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الله البيضـاوي تفقه علـى الـداركي وقـال الشيخ أبـو إسحاق وحضرت مجلسه وعلقت عنه وكان ورعا حافظا للمذهب والخلاف موفقا في الفتاوى مات فجأة في رجب سنة (ينظر: طبقات الشافعية 1 /215، أبو بكر بن أحمد بن محمد).

(3) تفسير البيضاوي 55/4.

ه ــ قال النسفي[1]:

رحمه الله- (أي تناقضاً من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم، أو تفاوتاً من حيث البلاغة فكان بعضه بالغاً حدّ الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، أو من حيث المعاني فكان بعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم). [2]

أما من ناحية صيغ الأفعال والمشتقات، فالأفعال المضارعة تستعمل في المواقف التي تفيد الاستمرار والتجديد في الأعمال، أو تفيد استحضار الصور البعيدة وتقريبها، حتى لكأنها ماثلة أمام العين تتملاها وتراها،[3] فقد استعمل الفعل المضارع (تصبح) بدل الفعل الماضي (أصبح) ليفيد بذلك استمرار هذه النعمة وتجددها حالاً بعد حال، وهي خضرة النبات ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [4]، قبل الدخول في بيان ماهية التكرار أجد نفسي ملزماً أن اعرف التكرار لغةً واصطلاحاً:

(1) علي بن محمد بن يوسف بن سفيان بن مالك بن مسمع عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري عن أبيه عن جده رفعه بحديث قال يا أيها الناس أنا أبا بكر لم يسؤني قط الحديث قال الحافظ الضياء لم أجد له ولا لشيخه قلت وقد مضى ذكره في سهل بن يوسف وساق حديثه ونبهت عليه في محمد بن يوسف المسمعي (لسان الميزان 4 /261، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي).

(2) تفسير النسفي :99/4 ،ونظم الدرر للبقاعي 99/8.

(3) نظم الدرر للبقاعي 99/8.

(4) سورة الحج الآية:63.

أ - تعريف التكرار لغةً واصطلاحاً:

التكرار في اللغة: قال ابن منظور:الكَرُّ: الرجوع، يقال: كَرَّه وكَرَّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا والكَرُّ: الرجوع على الشيء، ومنه التَّكْرارُ: كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً [1].

التكرار في الاصطلاح:

تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها، التكرار الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[2].

ويمكن لنا أن نقول:اعترض بعض من لا يفقه لغة العرب فراح يطعن بالتكرار الوارد في القرآن، وظن هؤلاء أن هذا ليس من أساليب الفصاحة، وهذا من جهلهم، فالتكرار الوارد في القرآن الكريم ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له والذي يرد في كلام من لا يحسن اللغة أو لا يحسن التعبير.وقد عرّفه السيوطي[3] (رحمه الله) إذ قال التكرار: وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط [4].

قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين:

أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى:

(1) يُنْظَرْ:لسان العرب 135/5 مادة(كر) .
(2) يُنْظَرْ:التعاريف 201/1، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ،236/1
(3) جلال الدين السيوطي السجزي المفسر وأبي ذر الهروي وخلائق وتخرج به خلق وفسر القرآن زمانا وكان يقول إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من مائة وسبعة تفاسير وله تصانيف منها ذم لكلام وكتاب منازل السائرين في التصوف وكتاب الفاروق في الصفات وغير ذلك وكان آية في التذكير والوعظ روى عنه أبو الوقت عبد الأول وخلائق آخرهم بالإجازة أبو الفتح نصر بن سيار مولده سنة ست وتسعين وثلاثمائة ومات في ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة طبقات المفسرين 1 /58، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي).
(4) يُنْظَرْ:الإتقان 275/3.

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى، وقد جاء على وجهين: موصول، ومفصول [1]، أما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة: منها تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [2]، أو في آخر الآية وأول التي بعدها) [3]، وإما في أواخرها، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [4]، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [5].

وأما المفصول: فيأتي على صورتين: تكرار في السورة نفسها،أو تكرار في القرآن كله. [6] مثال التكرار في السورة نفسها: تكرر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) في سورة " الشعراء: 8 مرات، وتكرر قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة " المرسلات " 10 مرات، وتكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة " الرحمن " 31 مرة.ومثال التكرار في القرآن كلهُ: تكرر قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ 6 مرات: في " يونس " (48) و "الأنبياء" (38) و " النمل " (71) و "سبأ" (29) و " يس " (48) و " الملك " (25)، وتكرر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مرتين: في " التوبة " (73) والتحريم (9).

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه :150/3.
(2) سورة المؤمنون الآية: 36.
(3) سورة الإنسان الآية: 15 – 16.
(4) سورة الفجر الآية: 21.
(5) سورة الشرح الآية:5 -6.
(6) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 280/3 .

والثاني: التكرار في المعنى دون اللفظ:

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذِكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها [1].

فوائد التكرار: قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: وليس في القرآن تكرار محض، بل

لابد من فوائد في كل خطاب،وقال في التعليق على تكرار قصة موسى مع قومه[3]، وقد ذكر الله هذه القصة في مواضع عدة من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي (ﷺ) إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة. [4]

وكذلك القرآن الكريم إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر في سورة البقرة نجد لفظة (فانفجرت) الاية:60 وفي سورة الأعراف لفظة (فانبجست) الآية 160، لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء [5].

وكذلك أسماء الربّ تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور: فكل اسم يدل على معنى ليس هو

---

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه:76/2.

(2) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف الأحكام وتيمية لقب جده الأعلى ولد بحران وتحول به أبوه إلى دمشق وتوفي سنة 827هـ.الوافي بالوفيات 11/7.

(3) يُنْظَرْ:مجموع الفتاوى، 14 / 408 .

(4) يُنْظَرْ:المصدر نفسه 14 / 408 .

(5) يُنْظَرْ:أسرار التكرار في القرآن للكرماني 30/1.

المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة.[1]

وكذلك في الجمل التامة، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمة حتى يجد سبيله إلى النفوس النافرة والطباع العصية فتسلس له القيادة وتلقى إليه السلم مثال ذلك تقرير القرآن لعقيدة التوحيد واستئصاله لشأفة الشرك بوساطة الحديث عنهما مراراً وتكراراً تارة يصرح وأخرى يلوح وتارة يوجز وأخرى يطنب وتارة يذكر العقيدة مرسلة وأخرى يذكرها مدللة وتارة يشفعها بدليل واحد وأخرى بجملة أدلة وتارة يضرب لها الأمثال وأخرى يسوق فيها القصص وتارة يقرنها بالوعد وأخرى بالوعيد وهلم[2].

وقال السيوطي، رحمه الله –: وله – أي: التكرار - فوائد: [3]

منها: التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، وقد نبّه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن الكريم بقوله ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [4] ومنها: التأكيد، ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [5]، فإنه كرر فيه النداء لذلك، ومنها: إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديداً لعهده، ومنه ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [6]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(2) يُنْظَرْ: مناهل العرفان في علوم القرآن ،262/2 مجموع الفتاوى 19/ 167 – 168.
(3) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 3 / 280.
(4) سورة طه الآية : 113.
(5) سورة غافر الآية: 38 39.
(6) سورة النحل الآية : 119.

بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[2] إلى قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾، ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3].

ومنها: التعظيم والتهويل نحو (الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ)، (الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ)، (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) [4].

فوائد تكرار بعض القصص والآيات:

1. قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله :

فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [5].

الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها، ومن مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللهِ لا أفعله، ثم واللهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللهِ أفعلُه، بإضمار " لا " إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجِل: اعْجَل اعْجَل، وللرامي: ارمِ ارمِ، فلمّا عَدَّد اللهُ تعالى في هذه السورة نعماءَه، وأذكَرَ عِبَادَه آلاءَه، ونبَّههم على قُدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نِعمتين، ليُفَهِّمهم النِّعم ويُقَرِّرهم بها [6].

2. **قال القرطبي[7] رحمه الله :**

---

(1) سورة النحل الآية : 110.
(2) سورة البقرة الآية : 189.
(3) سورة يوسف الآية : 4.
(4) سورة الواقعة الآية:27 ،و يُنْظَرْ:: الإتقان في علوم القرآن 3 /281 .
(5) سورة الرحمن الآية 13.
(6) يُنْظَرْ: زاد المسير 5 / 461 .
(7) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب - في شمالي أسيوط بمصر- وتوفي فيه سنة 671 هـ .(الأعلام للزركلي 322/5).

وأما وجه التكرار أي: (قل يا أيها الكافرون) فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم، كما تقول: والله لا أفعل كذا، ثم والله لا أفعله، نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، قال الله تعالى: (فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان)، (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [1] و ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [2]: كل هذا على التأكيد [3].

وكذلك في قوله تعالى في حكمة دخول (الواو) في النصّ القرآني ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [4]، ثم قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [5] عملت (الواو) هنا عملاً بالغ الضرورة إذ أن أصحاب النار النار قد سيقوا إلى جهنم وهي بعد لم تفتح حتى إذا وقفوا على أبوابها فتحت عن جملة عذابها فكان هذا عذاباً ضعفاً عليهم. أما أصحاب الجنة فقد سيقوا إلى الجنة وأبوابها قد فتحت لهم قبل مجيئهم أي أن تقدير الآية: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها، وهذا من زيادة الترحيب بأهل الجنة، وتعجيل البشارة لهم، وبالتالي فقد أشارت (الواو) إلى عذاب أهل النار المضاعف. ولما كان إغلاق الباب المقصود على قاصده دالاً على صغاره، دلّ على أن أمرهم كذلك بقوله ذاكراً غاية السوق (حتى إذا جاءوها) أي على صفة الذلة والصغار وأجاب بقوله (فتحت أبوابها) أي بولغ كما يفعل في أبواب السجن لأهل الجرائم بعد تكاملهم في الإسراع في فتحها ليخرج إليهم من كان محبوساً بإغلاقها من الحرارة التي يلقاها جحيمها.[6]

ومن بديع إعجاز القران الكريم اللغوي قصد في اللفظ مع وفاء المعنى:

(1) سورة النبأ الآيات: 4 – 5.
(2) سورة الشرح الايات: 5 6
(3) يُنْظَرْ: تفسير القرطبي20 / 226
(4) سورة الزمر: من الآية71.
(5) سورة الزمر: من الآية73.
(6) يُنْظَرْ: :نظم الدرر للبقاعي:16/563-564

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى في وصف خمر الجنة: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[1]، فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب،وحقيقة قوله تعالى:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾. أي: لا يصدر صداعهم عنها، والمراد: لا يلحق رؤوسهم الصداع، الذي يلحق من خمر الدنيا. وقيل: لا يفرقون عنها، بمعنى: لا تقطَع عنهم لذتهُم بسبب من الأسباب، كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق معناه يتفرقون بعد جمعهم وهذا هو التصدع والمعنى يتفرقون إلى الجنة وإلى النار ثم قسم الفريقين بأحكام تلحقهم من أعمال في الدنيا ثم عبر عن الكفر ب عليه وهي تعطي الثقل والمشقة وعن العمل الصالح باللام التي هي كلام[2]

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾، لا تذهب عقولهم بسكرها، من نزف الشارب، إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. قيل: وهو من نزف الماء: نزحه من البئر شيئًا فشيئًا. ويصرع شرابهم ويقال فلان ذهب عقله أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه[3].

ومن بديع الإطناب قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾[4] ففي قوله: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[5] تحيير للمخاطب وتردد، في أنه كيف لا يبرئ نفسه من السوء، وهي بريئة، قد ثبت عصمتها ! ثم جاء الجواب عن ذلك بقوله:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾، والمراد بالنَّفْسَ النفس البشرية عامة وأَمَّارَةٌ صيغة مبالغة على وزن: فعَّالة. أي: كثيرة الأمر بِالسُّوءِ أي: بجنسه، والمراد: أنها كثيرة الميل إلى الشهوات، والمعنى: إن كل نفس أمارة بالسوء، إلا نفسًا رحمها الله تعالى بالعصمة، وهذا التفسير محمول على أن القائل يوسف عليه السلام، والظاهر أنه من قول امرأة العزيز، وأنه اعتذار

(1) سورة الواقعة الآية: 19.
(2) يُنْظَرْ:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 341/4.
(3) يُنْظَرْ: تفسير أبي السعود 8 /191نظم الدرر للبقاعي:204/19.
(4) ورة يوسف الآية: 53.
(5) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي130/10.

منها عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات والمعنى: وما أبريء نفسي، مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حين قذفته، وقلت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] وأودعته السجن، تريد بذلك الاعتذار مما كان منها. ثم استغفرت ربها، واسترحمته مما ارتكبت.والتبرئة هنا عظيمة عن مطلق الزلل، وان غلبه التوفيق والعصمة أي لم اقصد بالبراءة عمّا تقدم مجرد التزكية للنفس، وان النفس أي ؛هذا النوع من النفس لإمارة،أي شديدة الأمر بالسوء(إلا ما) أي وقت إن رحم ربي بكفها عن الأمر به أو بستره بكفها عن فعله بعد إطلاقها على الأمر به[2]

ومن الآيات البديعة، التي جمعت بين الإيجاز والإطناب، في أسلوب رفيع من النظم بديع، قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]، أما الإطناب [4] فنلحظه في قول هذه النملة:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. أما قولها:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ الألف والهاء لحقت { أيًّا } توكيدًا؛ فكأنك كررت { يا } مرتين، وصار الاسم تنبيهًا.[5]

وقال الزمخشري: كرر النداء في القرآن بـ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة؛ منها: ما في { يا } من التأكيد، والتنبيه، وما في { ها } من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في { أيّ } إلى التوضيح. والمقام يناسبه المبالغة، والتأكيد.[6]

وأما قولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فهو تكميل لما قبله، جيء به، لرفع توهُّم غيره، ويسمَّى ذلك عند علماء البلاغة والبيان: احتراسًا؛ وذلك من نسبة الظلم إلى

(1) سورة يوسف الآية: 25.
(2) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي129/10
(3) سورة النمل الآية : 18.
(4) الإطناب:أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة فإن كثرة الكلام توجب كثرة النظر والإطناب أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد. (يُنْظَرْ :التعريفات 46/1).
(5) ينظر :نظم الدرر للبقاعي129/10
(6) يُنْظَرْ: الكشاف 360/3.

سليمان- عليه السلام- وكأن هذه النملة عرفت أن الأنبياء معصومون، فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو. قال الرازي:(وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء، عليهم السلام).[1] ويطالعنا الإعجاز اللغوي في صياغة الآية والجملة القرآنية، من خلال النظر في الترتيب والصياغة، وأساليب: القسم، والإيجاز والإطناب والالتفات، والتغليب:

1-الترتيب[2] والصياغة[3]: كما في قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] قدم (الجحيم) على (صلوة) (في سلسلة) على (فاسلكوه) لمراعاة الفواصل، أو لإرادة الحصر: كأن المعنى: إنكم أيها المأمورون بعذاب ذلك الجاحد لا يسمح لكم أن توردوه من طبقات النار إلا أشدها حماراً، وأقواها اشتعالاً، ولا أن تعذبوه من آلات العذاب إلا بأعظمها هولاً وأبينها طولاً، خذوه فغلوه يعني غلوا يديه إلى عنقه،ثم الجحيم صلوه يعني الباب السادس من جهنم فصلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا بالذراع الأول فاسلكوه فأدخلوه فيه كل ذراع منها بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول، ولو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بابن آدم وهي عليك وحدك[5]

2-القسم[6]: كما في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[7] فجاوب القسم محذوف دل عليه قوله بعد: (أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ

(1) تفسير الفخر الرازي:161/24.
(2) الترتيب: هو جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها أسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر (التعريفات78/1).
(3) الصياغة: صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الإفهام لمعناه بتبيين المراد، وتزيين الألفاظ بما يقرب فهمه ، ويعزب نظمه، ويعذب استماعه، ويعجب ابتداعه(يُنْظَرْ ::معجم مقاليد العلوم 93/1).
(4) سورة الحاقة الآيات:30-32.
(5) يُنْظَرْ :تفسير مقاتل بن سليمان 394/3.
(6) القسم: حلف واصله من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسما لكل حلف (يُنْظَرْ:المفردات في غريب القرآن 403/1).
(7) سورة القيامة الآيات:1-2

عِظَامَهُ)[1] وقيل (لا) لنفي القسم، وهو أسلوب من أساليبه يفيد التأكيد، كأنه قال: لا اقسم عليك بذلك اليوم، وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم، أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت ؟ إن الموت من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم.[2]

3-الالتفات[3]: ظاهرة أُسلوبية واضحة جداً في المشاهد القرآنية حيث يضرب على أوتار النفس ليزيدها تنبهاً وإيقاظاً أو هزاً أو تحريكاً، وأنه لا يكون الا لفائدة اقتضته، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطريه لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من أجزائه على أسلوب واحد. ومما وقع منه في المشاهد قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾[4] فالانتقال فالانتقال من الحديث عنهم (وقالوا) إلى الحديث إليهم (لقد جئتم) زيادة في تهديد من قالوا، ومواجهة لهم بالسخط عليهم، والتأنيب لهم. وفي قوله:(لَقَدْ جِئْتُمْ) وما يفه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا[5].

ومن استعمالات الالتفات ما يرمي إلى غاية التفخيم والتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾[6]. فقد التفت بقوله (أخرجنا) من الغيبة إلى التكلم، مسنداً الفعل إلى الضمير (نا) بعد أن كانت الأفعال قبله مسندة إلى ضمير

(1) سورة القيامة الآية:3.
(2) يُنْظَرْ:التفسير الكبير1/118.
(3) الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك (يُنْظَرْ:التعاريف 1/ 87).
(4) سورة مريم الآيات:88-90.
(5) يُنْظَرْ:التفسير الكبير1/68.
(6) سورة طه الآيات:53.

الواحد الغائب وفي إعادة الفعل في الجوانب اعتناء بشأنه ومطابقته للسؤال من حيث المعنى [1]

4-التغليب:[2] كثيراً ما يغلب القرآن بعض عناصر الكون على بعض، فإذا ذكر سعي الحيوان مثلاً، غلب الماشي منه على الزاحف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] ؛ فالتغليب هو أن يُغلَّب العاقل على غير العاقل إذا اجتمعا، أو يغلب عنصرٌ من عناصر الكون في مواضع إذا اجتمع، وكذلك الأمر في الالتفات تبياناً لنفاذ الله ومشيئته في الكون.[4]

ومن روعة إعجازه اللغوي يكمن في بلاغته الرائعة وذلك من خلال الاستعارة:

وتعريف الاستعارة هو: هي تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه الشبه وأداته. وهي ضرب من المجاز والمجاز أبلغ من الحقيقة لأن المعاني لا تقنع بالبقاء في حقيقتها إذا النفس الإنسانية تضيق بها وتتوق إلى الخروج عن مصطلحاتها المحدودة إلى آفاق مديدة من المعاني التي تتصور في أطر جديدة من التعبير المجازي. [5]

* أنواع الاستعارة:[6]:

الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، فإن كان المشبه به مذكوراً والمشبه غير مذكور فهو استعارة تصريحية وإن كان بالعكس فهو

---

(1) يُنْظَرْ: روح المعاني 66/25.
(2) التغليب :هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما وقيدوا إطلاقه عليهما للاحتراز عن المشاكلة (يُنْظَرْ: التعريفات 87/1).
(3) سورة النور الآية:45.
(4) يُنْظَرْ: روح المعاني 66/2.
(5) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 4 /76.
(6) يُنْظَرْ: المصدر نفسه 4 /44، نظم الدرر للبقاعي:16/563-564

استعالة بالكناية [1].والاستعارة المكنية [2] ما حذف منها المشبه به واكتفي بذكر المشبه، كقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [3].

من روائع الاستعارة في القرآن الكريم

ا - قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [4]

استعير في الآية الكريمة: " السلخ " وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافياً، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل والنور طارئ عليها، يسترها بضوئه. و هذا التعبير الفني يسميه علماء البلاغة " الاستعارة التصريحية التبعية " [5].

استعارة رائعة وجملية، إنها بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها وجرسها قد رسمت منظر بديعاً للضوء وهو ينحسر عن الكون قليلاً قليلاً وللظلام وهو يدب إليه في بطء.[6]

إنها قد خلعت على الضوء والظلام الحياة، حتى صارا كأنهما جيشان يقتتلان، قد أنهزم أحدهما فولى هارباً، وترك مكانه للآخر.[7]

تأمل اللفظة المستعارة وهي " نسلخ " إن هذه الكلمة هي التي قد استقلت بالتصوير والتعبير داخل نظم الآية المعجز فهل يصلح مكانها غيرها[8]. ب - قال تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[9]. استعير في الآية الكريمة خروج النفس شيئاً فشيئاً

(1) يُنْظَرْ: خزانة الأدب9 /260.
(2) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة 55/2.
(3) سورة مريم الآية:4.
(4) سورة يس الآية: 37.
(5) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 961/1.
(6) يُنْظَرْ: مجاز القرآن 105/1.
(7) يُنْظَرْ: معاني القرآن492/5.
(8) ينظر:إعجاز القرآن:188/1.
(9) سورة التكوير الآية: 18.

لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً بمعنى النفس، تنفس بمعنى خرج النور من المشرق عند انشقاق الفجر. [1]

استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائنا حيا يتنفس، بل إنساناً ذا عواطف وخلجات نفسية، تشرق الحياة بإشراق من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة، وهو يتنفس بهدوء، فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، أرأيت أعجب من هذا التصوير، ولا أمتع من هذا التعبير؟[2]

ثم تأمل اللفظة المستعارة وهي " تنفس " أنها بصوتها الجميل وظلها الظليل، وجرسها الساحر قد رسمت هذه الصورة البديعة في إطار نظم الآية المعجزة، فهل من ألفاظ اللغة العربية على كثرتها يؤدي ما أدته، ويصور ما صورته ؟ [3]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [4]

استعير في الآية الكريمة " الطغيان " للأكثر الماء بجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعارة المفرط في كل منها. ثم اشتق من الطغيان: " طغى " بمعنى كثر استعارة فريدة لا توجد في غير القرآن إنها تصور لك الماء إذا كثر وفار واضطرب بالطاغية الذي جاوز حده، وأفرط في استعلائه. أرأيت أعجب من هذا التصوير الذي يخلع على الماء صفات الإنسان الآدمي؟ ثم تأمل اللفظة المستعارة " طغى " إنها بصوتها وظلها وجرسها إيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الساحرة في إطار نظم الآية المعجز.[5]

الكناية تعريفها: لفظ استعمل في غير معناه الأصلي الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي. وهي كما عرفها البلاغيون: إرادة المتكلم إثبات معنى من

(1) يُنْظَرْ:تفسير مقاتل 456/4.
(2) يُنْظَرْ: فضائل القرآن ،للقاسم ابن سلام:120/1.
(3) يُنْظَرْ:تفسير البيضاوي:486/5.
(4) سورة الحاقة الآية: 11.
(5) يُنْظَرْ: روح المعاني 68/1.

المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يأتي إلى معنى هو مرادفة في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه. [1]

(1) يُنْظَرْ:النهاية في الكناية 66/8.

أقسام الكناية، تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاث أقسام:[1]

1- أن يكون الأمر المقصود صفة معنوية كالكرم والشجاعة.

2- أن يكون الأمر نسبة بين شيئين.

3- أن يكون الأمر المقصود موصوفاً.[2]

ا- الكناية عن صفة: المقصود بها إيراد صفة من الصفات المعنوية لم تذكر بلفظها وإنما ذكرت ألفاظ صفات أخر انتقل منها إلى المراد.[3]

ب- الكناية عن نسبة: الكناية عن نسبة هي التي يصرح فيها بالصفة منسوبة لشيء يتعلق بالموصوف.

ج- الكناية عن موصوف: الكناية عن موصوف لفظ يدل على معنى واحد أريد به موصوف[4]

من روائع الكناية:

ا - قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [5] لقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة " الحرث " عن المعاشرة الزوجية،إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة مصورة، مؤدية مهذبة، فيها من روعة التعبير و جمال التصوير، و ألوان الأدب و التهذيب ما لا يستقل به بيان، و لا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن. إنها عبرت عن العاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتم في السر و الخفاء بالحرث و هذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية، و تنطوي تحته معاني كثيرة تحتاج في التعبير عنها إلى الآف الكلمات انظر إلى ذلك التشابه بين صلة الزراع بحرثه وصلة الزوجة في هذا المجال

(1) يُنْظَرْ:الإيضاح في علوم البلاغة 961/1.
(2) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(3) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(4) يُنْظَرْ:المصدر نفسه: 88/6.
(5) سورة البقرة الآية: :223.

الخاص، و بين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، و ذلك النبت الذي تخرجه الزوج، و ما في كليهما من تكثير و عمران و فلاح كل هذه الصور و المعاني تنطوي تحت كلمة " الحرث " أليست هذه الكلمة معجزة بنظمها و تصورها ؟ هل في مفردات اللغة العربية ـ على كثرتها ـ ما يقوم مقامها و يؤدي ما أدته و يصور ما صورته. إن المعنى لا يتحقق إلا بها. و عن التصوير لا يوجد بسواها.[1]

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] هذه الآية كناية عن عدم العناية عند ظهور المعجزة. أي لا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من جمال التعبير، و روعة التصوير، و لطافة الإيجاز. إنها عبرت عن العناد عند ظهور المعجزة بالنار العظيمة، و هذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ و قوة التأثير ثم أن هذا التعبير قد أبرز لك هذا المعنى الفكري المجرد في صورة محسوسة ملموسة و لم يقف عند هذا الحد من التجسيم والتشخيص بل تعداه إلى التصيير و التحويل. فحوله على نار ملتهبة متأججة متوهجة بل تعداه إلى أعجب من هذا التصوير، و لا أروع و ألذ من هذا التعبير؟ إنه الإعجاز يلبس ثوب الكناية فتنحني له هامات البلغاء، و يثير في النفس أسمى آيات الإعجاب[3]

ب - قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[4]

في هذه الآية كنى القرآن الكريم عن الجماع بالسر. تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من اللطائف و الأنوار و الأسرار. تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من اللطائف و الأنوار و الأسرار. إن في الكناية بالسر عن الجماع من ألوان الأدب و التهذيب ما يعجز عن وصفه أساطين البيان، و فيها من جمال التعبير ما يسترق الأسماع و يهز العواطف و يحرك الأحاسيس و المشاعر. لقد ألبست الجماع الذي يتم في السر ثوب

(1) يُنْظَرْ:تفسير مقاتل 986/4.
(2) سورة البقرة الآية: 24.
(3) يُنْظَرْ: روح المعاني 98/1
(4) سورة البقرة الآية: 235.

السر فذهبت بسر الفصاحة و البيان. أبعد هذا يقال أن الكناية في القرآن يستطيع أن يحاكيها بنو الإنسان ؟ أبداً و الله إن بني الإنسان من المعجز بحيث لا يمكنهم فهم ما تنطوي عليه الكناية في القرآن من الأسرار.[1]

ومن الإعجاز اللغوي:براعته في تصريف القول، ومن ذلك ما يأتي: منها تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

1- الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [2].

2- والإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين ؛نحو ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [3]

3- والإخبار بكونه على الناس؛ نحو ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [4]

4- والإخبار عن المكلف بالمطلوب منه ؛ نحو ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [5]

5- والإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره؛ نحو ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ [6].

6- وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر ؛ نحو ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[7] أو بلام الأمر ؛نحو ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ [8].

---

(1) يُنْظَرْ: روح المعاني 55/1.
(2) سورة النساء الآية: 58.
(3) سورة البقرة الآية: 183.
(4) سورة آل عمران الآية: 108.
(5) سورة البقرة الآية: 288.
(6) سورة آل عمران الآية: 97.
(7) سورة البقرة الآية: 238.
(8) سورة الحج الآية: 29.

7- والإخبار عن الفعل بأنه خير ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [1]

8- ووصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه بِر ؛ نحو ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [2]

[2]

9- ووصف الفعل بالفرضية؛ نحو ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [3] التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردي الجماعي، أو المبالغة في التثاقل، أو الاستعصاء على الهدى[4]من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [5].

[5].

أصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جئ بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة. ويشبه هذا إيحاء التكرار في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[6].

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [7]، أيضاً ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [8].

---

(1) سورة البقرة الآية: 220.
(2) سورة البقرة الآية: 189.
(3) سورة الأحزاب الآية: 50.
(4) يُنْظَرْ: مناهل العرفان الزرقاني4/229 232، نظم الدرر للبقاعي:16/563-564.
(5) -سورة الأعراف الآية: 38.
(6) سورة الشعراء الآية 94.
(7) سورة التوبة3 الآية 8.
(8) سورة فاطر الآية 37 .

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في الفعل، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [1]، و(ضيزى) تعني: جائزة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى)[2] جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء ـ بماء في الضاد من تفخيم ـ إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه.قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[3] والصيب: النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لما أنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.[4]

ومن الإعجاز اللغوي التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة:

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [5]،حيث يوحي لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل-سلاسة)[6] من شركة في بعض الحروف، هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [7]، حيث أن مادة (غسق) في القرآن الكريم منها الغسق، والغاسق والغساق ـ توحي أن القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق:الظلمة،

(1) سورة النجم الآية 22.
(2) ضيزى: أي ناقصة،(يُنْظَرْ:العين 53/7).
(3) سورة البقرة الآية:19 .
(4) يُنْظَرْ: نظم الدرر للبقاعي:16/66-67.
(5) سورة الإنسان الآية:18 .
(6) سلسبيل:سلسلة لينة سائغة(يُنْظَرْ:غريب القرآن 217/1).
(7) سورة النبأ الآية: 25 .

والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شئ كريه لا يشرب[1]، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغوياً من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله في التفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾[3]، والضريع والضريع نبات شوكي.[4] وإيحاء لفظ (ضريع) في الطعام يفيد ذلاً يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾[5]، ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[6].

(1) غسق :غسق الليل وظلمته(ينظر:جمهرة اللغة 93/1).
(2) سورة المطففين الآية:7 .
(3) سورة الغاشية الآية: 6 .
(4) ضريع: هو نبات بالحجاز يقال لرطبه (الشبرق)،(ينظر:التبيان في تفسير القرآن:459/1).
(5) سورة المطففين الآية :18 .
(6) سورة يوسف الآية :15.

المبحث التاسع

الإعجاز البياني

المبحث التاسع

الإعجاز البياني

في هذا المبحث تبيان للعجز عن التشبع بالمعاني الجديدة التي كان يطرقها القرآن، وهذا بعض المعجزة، إنه العجز عن الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية، وطريقة تناول الآيات للمعاني، فضلاً عن غير ذلك من المعجزات، بل يمكن لنا القول أن الإعجاز البياني سبق بقية أنواع الإعجاز التي حفل بها القُرآن الكريم التي وقفنا عليها، التي لم نقف عليها بعد.

وهكذا أنبأنا التاريخ بهذا العجز في عصر القرآن، ولكن لم تُطْو صفحة التحدي في العصر الذي بعده وأهله بعد على سلائقهم العربية، وفيهم من يود أنْ يتأتى على هذا الدين من أساسه، وما أيسره عليه لو دخل إليه من باب القرآن بقبول التحدي، ولكن التاريخ لم يسجل لأحد فيه قدرة على ذلك، بل حِيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل.

والمعجزة القرآنية البيانية، ليست معجزة آنية تحكمها الظروف، بل هو معجزة خالدة متطاولة مع امتداد الزمان، فإن عجز عنه أهل اللغة الفصيحة والبيان السليم، فهل سيتسنى ذلك لمن سيأتي من بعد؟.

لقد مضت القرون، وورث اللُّغة عن أهلها الوارثون، وكلما تطاول الزمان بين عصر المبعث والعصور التالية له، كان أهلها أشد عجزاً، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز، لانحراف ألسنتهم وفساد سلائقهم، وكانت شهادة على إعجاز القرآن إلى أنْ تطوى صفحة هذا الوجود، ويرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. وإنْ كنا نذهب مذهب القائلين بأنَّ عجز القوم راجع إلى نظم القرآن وبلاغته، وشرف معناه ودقته؛ فما ذاك إلاَّ لأنه لم يصح وجه آخر لإعجاز القرآن سواه عند التحدي أول عهد العرب به، وأنَّ ما أضيف إلى إعجازه البلاغي من وجوه أخرى كالإعجاز

الغيبي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، فإنما كان ذلك عندما اكتمل عقد القرآن، ونظر الباحثون إليه جملة واحدة بوجوه المتكاملة.

بعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نعرّف الإعجاز البياني:

تعريفه: يقصد بالإعجاز البياني:هو بيان كل آية من آياته التي يستخدم القرآن الكريم لها أساليب كثيرة في غاية الفصاحة والبلاغة تساعد على فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم وتمتع قارئ القرآن لشدة جمال هذه الألفاظ.[1] وعلى الرغم من أهمية ضروب الإعجاز فإن الإعجاز البياني على رأسها [2].

فإذن يمكن لنا أن نقول: إنّ أبرز هذه المناحي،هو تحدي القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ثم تحداهم بعشر آيات فعجزوا ثم تحداهم بآية فبهتوا، فقضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث، فمنذ أن تلا المصطفى ﷺ في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حسَّ لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أن يسلم بأنه ليس من قول البشر.فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [3].

استعمل فيه كلمة الإغراء دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له. حيث إن القرآن الكريم يخاطب العقل والشعور معاً لأن القرآن لا يعتمد على التفكير وحدة ليقنع، ولكنه يتجه إلى إثارة الوجد أن إثارة وحية رفيعة، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث الألم فيها فتأبى وترفض. حيث في القرآن الكريم مظهر غريب لإعجازه المستمر لا يحتاج في تعرفه إلى روية ولا إعنات، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئاً من أساليب الناس حتى يقع في نفسه معنى إعجازه، لأنه أمر يغلب على الطبع وينفرد به فيبين عن

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن : 8.
(2) دراسة نقدية لكتاب الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية :44/8.
(3) سورة المائدة: من الآية14.

نفسه بنفسه، كالصوت البالغ في التطريب لا يحتاج امرؤ في معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه.[1] وتكمن روعة الإعجاز القرآني في روعة فواصله الدقيقة وروعه نسجه المتماسك وذلك في رؤوس الآي والتشابك الجميل الأخاذ فيها،فقد عرّفت الفواصل بأنّها:حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وفرَّق الداني[2] بين الفواصل ورؤوس الآي، الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس. وكذلك الفواصل تكون رؤوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية[3]. والفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدلُّ بها عليه.[4]والفواصل على وجهين: أحدهما: على الحروف المتجانسة، والآخر: على الحروف المتقاربة.[5]فالحروف المتجانسة[6] كقوله تعالى في فاتحة سورة الطور: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[7]، وأما الحروف المتقاربة[8] كالميم مع النون في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[9]،

(1) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن 99/6.
(2) هو: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، أحد كبار الأئمة في القراءات، أشهر كتبه: "التيسير في القراءات السبع"، و"المقنع في رسم القرآن"، و"المحكم في نقط المصاحف"، توفى سنة 444هـ.(انظر: إنباء الرواة، 341/2).
(3) يُنْظَرْ: المحكم في نقط المصاحف ، عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو ، 17/1، وينظر: الإتقان في علوم القرآن268/2.
(4) يُنْظَرْ: الإتقان في علوم القرآن268/2.
(5) يُنْظَرْ: المصدر نفسه.
(6) هي الحروف التي اتحدت مخرجاً واختلفت صفة، كحرفي الدال والتاء، فاتحادهما لأنهما يخرجان من طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا، أي مخرجهما واحد، وأما اختلافهما في الصفة، فحرف التاء له خمس صفات، وحرف الدال له ست صفات. انظر: لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن صابر غانم المنكوت:، 296.
(7) ورة الطور، الآيتان 1-2.
(8) هي الحروف التي تقاربت مخرجاً وصفة أو تقاربت مخرجاً لا صفة، أو تقاربت صفة لا مخرجاً. (انظر: المصدر : لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن ، 293.)

[1]، وكالدال مع الباء في قوله تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[2]، ثم قال: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾[3].

التجانس: هو بيان لأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللُّغة وهو على وجهين: مزاوجة، ومناسبة.[4] فالمزاوجة تقع في الجزاء كقوله: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[5]، أي جازوه بما يستحق على العدل، إلاَّ أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان.[6]

والثاني من المجانس، وهو المناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[7]، فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر في قلوبهم فذهب عنها الخير. إلى غير ذلك من وجوه البلاغة التي تقدَّم ذكرها، وتعرضنا لبعضها بشيء من التوضيح مما يدلُّ على بلاغة القرآن، وحسن أسلوبه ونظمه، ودلالة ألفاظه.[8]

ونخلص من هذا العرض إلى:

أنَّ القرآن الكريم معجز في لفظه وأسلوبه، فما من حرف أو كلمة أو آية أو سورة إلاَّ وضع في موضعه اللائق به، لحكمة يعلمها مُنزله سبحانه، ولو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب على أحسن منها، ما وُجد ذلك، ولن تتسع له اللُّغة بكلمة واحدة.

---

(1) ورة الفاتحة، الآيتان 3-4.
(2) سورة ق، الآية 1.
(3) سورة هود، الآية 72.
(4) يُنْظَرْ:الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،275/1.
(5) سورة البقرة، الآية 194.
(6) يُنْظَرْ:الإتقان في علوم القرآن268/2.
(7) سورة التوبة، الآية 127.
(8) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن : 8.

حيث يقول الإمام الخطابي: (إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.. فتفهم الآن، واعلم أنَّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّناً أصح المعاني.. ومعلوم أنَّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدورهم).[1]

دعوى الترادف في القرآن الكريم:

التعريف في اللغة والاصطلاح: إنّ موضوع الترادف لا يُمكن أن يُحسم في مثال أو مثالين، فهو يحتاج إلى دراسات مستقلة، فمنهم مَن يُنكِر الترادف، ومَن يؤيده، وكان هدف الفريقين إثبات المزيّة، وليس الطعن في لغة القرآن الكريم، ومن ثمّ فإن ما يعنينا نحن في هذه الدراسة هو البحث عن سر التعبير بهذه الألفاظ، سواء أقيل هي من الترادف، أم نُفِيَ عنها ذلك، المهم ألا يكون القول بالترادف حائلاً دون البحث عن سر التعبير بها، أمّا أن ننعت الكلمات أو الأشياء دون البحث عن سبب الاستخدام فهذا غير مقبول في التحليل البيان،إنّ المفردة أصل الدقّة في التعبير القرآني، وذلك في اختيار الألفاظ، وإنتقاء الكلمات، فالمعرفة لها شأنّها، والنكرة لا تقل عن ذلك، ومثله إختيار المفرد أو الجمع، وغيره من أنواع التصريفات، شرط أن يكون ذلك محكوماً أو موَشَّحا بدقة المعنى، والوفاء بالقصد، إضافة إلى تحديد المدلول، حتى تُمسي المفردة كأنّها خلقت لهذا الموضع دون غيره، فلا المكان يُريد

(1) يُنْظَرْ: ثلاث رسائل الخطابي:55/7.

بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولا، كلمات قرآنية يراها كل واحد مقدَّرة على مقياس عقله، وعلى وفق حاجته.[1]

بعد هذه المقدمة نشرع في بيان الترادف لغة واصطلاحاً:

اماالترادف لغةً: هو من ردف ردف الردف ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف [2]

الترادف اصطلاحاً:

المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد والترادف التتابع مردفين يتبع بعضهم بعضا ويردف آخره أي يتبعه،وهو:الاتحاد في المفهوم أو توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد.[3]

موقف العلماء العرب من الترادف:

أ- المنكرون للترادف من العرب: أبو علي الفارسي: أسماء السيف هي صفات لمسمى واحد،وقال ابن فارس: في قعد معنى ليس في جلس، وهو مذهب أبي العباس ثعلب،أما أبو هلال العسكري[4] فقال: محال في لغة واحدة، أما الراغب الأصفهاني فقال: وجود فروق غامضة بين الألفاظ المترادفة.

ب- **المثبتون للترادف من العرب:** الأصمعي ابن خالويه التهانوي إبراهيم أنيس[5].

---

(1) يُنْظَرْ: كتاب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم :99

(2) يُنْظَرْ: لسان العرب 114/9مادة (ردف).

(3) يُنْظَرْ:التعريفات 253/1،وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم51/1 ،التعاريف 169/1

(4) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال.عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، تآليفه كثيرة منها: (ديوان المعاني)، و(الفروق في اللغة)، و(جمهرة الأمثال)، و(كتاب الصناعتين) (يُنْظَرْ:تراجم من الموسوعة الشعرية55).

(5) يُنْظَرْ: بيان إعجاز القرآن، 23-25.

ودراسة اللفظ القرآني دراسة سياقية؛ أي دراسته في سياقه القرآني الذي استعمل فيه. وقد تكون في بعض الحالات المعين الوحيد للوصول إلى الفروق الظلال الدلالية التي تفرق بين ألفاظ لا تفرق بينها المعاجم ولا كتب اللغة والتفسير وتعدها مترادفة. وجدير بالذكر أن دراسة السياق تحتاج كذلك إلى علم مناسبات النزول، وقد نبه الزركشي إلى أهمية دلالة السياق في توضيح معاني الألفاظ، فقال:" إنها ترشد إلى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته.[1] ويمكن لنا أن نبين أن لا ترادف في القرآن الكريم وذلك من خلال ما يأتي:

ألف العزة وياء الذلة:

1- ألف العزة: هي الألف في كلمة (عباد) التي وردت في القرآن الكريم حوالي مائة مرة، في معظمها وصف بها المسلمون المطيعون لله، لذلك لا نخطئ إذا قلنا: إن غالب كلمة (عباد) في القرآن يراد بها المسلمون المطيعون لله تبارك وتعالى.[2] كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[3] نمعن النظر في الألف الممدودة في وسط كلمة (عباد) نجدها توحي بالعزة والمنعة والرفعة والسمو، وكأنها مرفوعة الرأس بطاعة الله تعالى، منصوبة القامة باستمرار، وهذه العزة والرفعة والسمو نلحظها في حياة عباد الرحمن المطيعين لله تبارك وتعالى، وفي أخلاقهم ومعاملاتهم، يعيشون بعزة قوله تعالى: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4].

(1) يُنْظَرْ: البرهان للزركشي: ، 200/2ونظم الدرر للبقاعي:563/16-564
(2) يُنْظَرْ: نظم الدرر للبقاعي:33/16-34.
(3) سورة الفرقان الآية : 63 .
(4) سورة المائدة الآية : 54 .

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله [1].

2- **ياء الذلة:** إذا كانت ألف (العباد) ألف عزة، فإن ياء (العبيد) هي ياء الذلة ! وإذا كان غالب استعمال (عباد) في القرآن للمؤمنين، فإن كلمة (عبيد) في القرآن وردت وصفاً للكفار والعصاة،وردت كلمة (عبيد) خمس مرات في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى عن كفر اليهود: ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾** ﴾ [2].

ونمعن النظر في المواضع الخمس نجد أن الله تعالى ذكر في ثلاث مواطن في: (وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [3] وهي تتحدث عن اليهود والكفار في الدنيا وأن الله ليس بظلام لهم يوم القيامة. تفسير مقاتل بن سليمان اي ليس يعذبهم على غير ذنب.[4]

بينما ذكر في (سورة فصلت) بقوله: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[5] فكلمة ربك فيه خطاب لرسول الله ﷺ والآية تتحدث عن عدل الله في منح الثواب للمحسن، وإيقاع العذاب بالكافر.[6] وذكر في (سورة ق) قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [7] [7] بضمير المتكلم لأن الآية تتحدث عن موقف بين يدي الله تعالى مباشرة يوم القيامة،وما أنا بظلام للعبيد قال: ما أنا بمعذب من لم يحترم[8].

---

(1) يُنْظَرْ: السيرة النبوية:77/8.
(2) سورة آل عمران الاية : 181 - 182 .
(3) يُنْظَر: آل عمران: 18والأنفال، 51 ،والحج :10، ينظر:نظم الدرر للبقاعي:563/16-564
(4) يُنْظَرْ: تفسير مقاتل بن سليمان 23/2.
(5) سورة فصلت الاية: 46 .
(6) يمكن مراجعة هذه الفروقات في كتب الأستاذ الدكتور محمد فاضل السامرائي.
(7) سورة ق الآية : 29.
(8) يُنْظَرْ: تفسير ابن أبي حاتم 10 /3309.

وكلمة (ظلاَّم) المبالغة في (ظلاَّم) باعتبار الكمية لا الكيفية، وقيل (ظلاَّم) للنسب كعطَّار أي: لا ينسب إليه الظلم أصلاً،و ليس ربك بذي ظلم، وقيل: ذكر الظلاَّم بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو (العبيد)، فذلك لرعاية جمعية العبيد، من قولهم: ظالم لعبده وظلاَّم لعبيده[1]، وفيه تنبيه إلى أنه لا يظلم من يختص بعبادته ولا من انتسب إلى غيره من الذين تسموا بعبد الشمس وعبد العزى ونحو ذلك [2].

عود على بدء: ننظر في الآيات التي ذكرت ياء الذلة في (العبيد) فنجد أن التعبير عن الكفار بالعبيد يوحي بالذلة والصَّغَار، لأن الياء جاءت وسط الكلمة منبطحة ملقاة بذلة، فالكفار أذلاء جبناء ضعفاء مهانون، في حياتهم وأشخاصهم ومواقفهم، لا يريدون العزة والرفعة، ولا يشعرون بالكرامة والأنفة، تجدهم أحرص الناس على حياة، وتراهم يذلون أمام المتسلطين الظالمين، لذلك لازمتهم ياء الذلة[3]. وفي قوله تعالى(الذين صبروا)أي استعملوا الصبر على ما نابهم من المكاره من الكفار وعلى(ربهم) أي المحسن بإيجادهم وهدايتهم وهم يتوكلون في كل حال على الله ﷻ.[4]

ميِّت و ميْت: كلمتان متقاربتان، الأولى بالتشديد والثانية بالتسكين، فما هو السر الدفين في هذا التفاوت في التعبير ؟ وما الفرق بين الكلمتين ؟

أولاً لا ترادف في كلمات القرآن الكريم، أي لا توجد كلمتان في القرآن بمعنى واحد، بل لا بدَّ من فروق دقيقة بينهما.[5]

وربما عدل القرآن عن صورة إلى أخرى تختلف عن الأولى في عدد الحروف أو الترتيب أو الحركات، وهذا التغيير يكون مقصوداً، لذلك لا بدَّ من حكم ولطائف من هذا التعبير والتغيير،الميِّت ـ بالتشديد ـ: هو غالباً ما يعبَّر به عن الحي الذي فيه

(1) ينظر: تفسير النسفي : 3 / 97 ، وروح المعاني ،ونظم الدرر للبقاعي:16/563-564 ، وفتح القدير 5 / 77 .
(2) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن، 323.
(3) يُنْظَرْ: لطائف قرآنية، 60.
(4) يُنْظَرْ: نظم الدر للبقاعي:11/42-44.
(5) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.

الروح، الميْت ـ بالتسكين ـ: هو الذي خرجت روحه منه،فالميِّت: مخلوق حي، ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فهو ميَّت مع وقف التنفيذ، ونرى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى وهو يخاطب رسوله الكريم ﷺ [1].

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2].

الآية الكريمة تخاطب النبي ﷺ وتخبره بأنه سيموت، وأن خصومه الكفار سيموتون، فكل حي (ميِّت) حال حياته ينتظر حلول الأجل وهي صفة لازمة.[3]

والميْت: هو المخلوق الذي مات فعلاً وخرجت روحه وأصبح جثة هامدة، وأطلق القرآن هذا اللفظ على:

(1) ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي 10.
(2) سورة الزمر الآية: 30 - 31.
(3) نظم الدرر للبقاعي:16/515-516.

البلد الميْت، فقال الله ﷻ تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [1].

والبهيمة الميْتة، قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [2].

والميْت: هو الإنسان الذي مات وخرجت روحه، وقد شبه الله تعالى الذي يغتاب أخاه بمن يأكل لحم ذلك الإنسان الميت فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3].

والكافر: قلبه ميْت، فهو موتاً معنوياً، رغم أنه يتحرك ويتنفس، ميْت لخلو قلبه من الإيمان، وحياته من الاستقامة، ولا يحيي قلبه إلا الإيمان: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [4].

ولعلنا نستشف هذه المعاني من حركات الكلمتين، فالميّت: ياؤه مشددة، ويشير إلى إقبال الإنسان الحي على حياته الدنيا، وانهماكه فيها، وحرصه عليها بكل ما أوتي من قوة وشدّة.

أما الميْت: الذي خرجت روحه، فياؤه ساكنة غير متحركة، ولعلها إشارة إلى سكون هذا الإنسان وهدوئه بعد خروج روحه، وتوقفه عن الحركة، فهذا شأن الإعجاز فهيهات، انه أعظم من كل ما نقول،وأبلغ وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب.[5]

(1) ورة يس الآية : 33 .
(2) سورة المائدة الآية : 3 .
(3) سورة الحجرات الآية: 12 .
(4) سورة الأنعام الآية : 122 .
(5) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :9.

الكُره والكَره: كلمتان متقاربتان في البناء والتركيب والحركات، ومتقاربتان أيضاً في المعنى.

فالكُره: المشقة المرغوبة، كتكليف القتال الشاق على النفس، ولكن النفس المؤمنة ترغبه وتطلبه رغم مشقته وصعوبته، لذلك وصف بأنه (كُره) بضم الكاف، أي ثقيل وشاق، ولكنه مرغوب ومطلوب مراد للمجاهدين الصادقين، وذلك لثماره الإيجابية في الدنيا والآخرة.[1]

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [2].

ويمكن أن أقول: لما كان حمل المرأة شاق صعب متعب مرهق، يضعف جسمها، ويؤثر في أعصابها ونفسيَّتِها، وقد يصيبها بالأمراض أو تودي بحياتها،علاوة على ذلك آلام المخاض، وأوجاع الطلق، ومشقة الولادة، ولكن رغم كل هذا فالمرأة ترغب في الحمل والإنجاب، وتستعذب هذه المشاق، وتطلب الحمل وتريده !!

ولهذا عبَّر القرآن الكريم عن حملها ووضعها بأنه (كُره) أي مشقة وصعوبة وثقل، فيه آلام وأوجاع وأخطار، لكنه مرغوب ومطلوب لدى المرأة، مقرونة باللذة والشوق، قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [3].

فسبحان من جعل الحمل والإنجاب حاجة فطرية، في كل امرأة سليمة سوية، لتستمرَّ الحياة !![4]

---

(1) يُنْظَرْ:المصدر نفسه.
(2) سورة البقرة الآية 216 .
(3) سورة الأحقاف الآية 15 .
(4) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :66.

والكَره: وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات، بمعنى: الإكراه والإجبار والقسر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [1].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [2].

فالكافر أسلم لله رغم أنفه، وهو كاره رافض، لذلك اعتبر استسلامه (كرهاً) بفتح الكاف،ويسجد لله مكرهاً مجبراً، وليس هكذا استسلام المؤمن لله، ولهذا وصفه القرآن الكريم بأنه (طوعاً) وجعله مقابلاً ومضاداً لاستسلام الكافر وخضوعه الجبري لله تبارك وتعالى،حتى إنفاق المنافقين لأموالهم رغم أنوفهم، إنفاق بسبب القسر والإكراه، وذلك لأنهم يريدون به التمويه على المسلمين، ولهذا وصف الله إنفاقهم بأنه (كَره) وأمرنا أن نقول لهم[3]:﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [4].

ونهى القرآن الكريم عن وراثة المرأة كالمتاع والأثاث، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [5].

فقد كان الجاهلي إذا مات أبوه، ورث أمواله ومتاعه، ومن جملة ما يرث زوجة أبيه، فنهى الله تعالى عن هذا التصرف الجاهلي البشع وحرَّمه عليهم، والمرأة ترفض هذا التصرف وتكرهه، لأنه إجبار وقسر لها ولذا سماه الله تعالى في القرآن الكريم (كَرهاً) بفتح الكاف [6].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني: الكَرْه: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمَلُ عليه بإكراه، والكُرْهُ: ما يناله من ذاته، وهو يعافه [7].

---

(1) سورة فصلت الاية : 11 .
(2) سورة الرعد الآية 15 .
(3) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن : 425.
(4) سورة التوبة الآية : 53 .
(5) سورة النساء الآية : 19 .
(6) يُنْظَرْ: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ،د.فاضل صالح السامرائي :55.
(7) يُنْظَرْ: المفردات في غريب القرآن : 429.

الجسم والجسد: كلمتان متقاربتان في الحروف والمعنى، ولكن ما الفرق بينهما الجسم: إذا كان فيه حياة وروح وحركة، والجسد: التمثال الجامد أو البدن بعد وفاته وخروج روحه.[1]

قال الله تبارك وتعالى عن (طالوت) مبيناً مؤهلاته ليكون ملكاً على بني إسرائيل: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [2].

وقال تعالى عن اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [3].

الآيتان تتحدثان عن الأحياء، فطالوت ملك حي، والمنافقون أحياء يتكلمون،أما كلمة (جسد) فإنها تعني: البدن جثة هامدة، قال تعالى عن ابن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، الذي ولد ميتاً مشوهاً: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4].

كما وصف القرآن العجل (التمثال) الذي صنعه (السامري) من الذهب لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته، مستغلاً غيبة موسى عليه السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [5].

(1) يُنْظَرْ: التعبير القرآني ،د.فاضل السامرائي44.
(2) سورة البقرة الآية: 247 .
(3) سورة المنافقون الآية : 4 .
(4) سورة ص الآية: 34.
(5) سورة الأعراف الآية : 148 .

وبهذا نكون قد علمنا الفرق بين الجسم والجسد.

همت به وهمَّ بها: أثبت القرآن الكريم لامرأة العزيز مراودتها ليوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [1].

ولكن هل همَّ يوسف بها كما همت به، بعض المفسرين نسب الهمَّ ليوسف عليه السلام بامرأة العزيز، وذهب إلى أن همه كان هم الفاحشة، ومعلوم أن الأنبياء معصومون عن الخطأ،ومنهم من نفى عن يوسف همَّ الفاحشة، واعتبره همَّ الضرب، أي همَّ بضربها ورفع يده عليها، ولكنه لم يضربها لأنه رأى برهان ربه، وهو شعوره بالخجل من ضربها، لأنه لا يليق برجل أن يضرب امرأة، فكيف إذا كانت سيدته،ولا أرى الهمَّ بالفاحشة لأنه منزه عن ذلك، ولا همَّ بالضرب لعدم توفر الأدلة على ذلك، ولكن تركيب الآية توحي بأنه لم يهمَّ بها، وتنفي عنه الهمَّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ. وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فحرف (الواو) هنا استئنافية وليست عاطفة، ويجب الوقوف على الضمير (به) ثم يستأنف القارئ: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾، وجملة (هَمَّ بها) جواب الشرط، لحرف الشرط (لولا) مقدَّم عليها، فتصبح الجملة هكذا: (لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها).ومعلوم أن (لولا) حرف امتناع لوجود، فيمتنع تحقق جواب الشرط وهو (همَّ بها)لوجود فعل الشرط وهو (أن رأى برهان ربه).وبرهان ربه عز وجل هو: إيمانه القوي بالله تعالى، وشعوره بمراقبته، وحرصه على عدم مخالفته، واجتنابه للمعاصي والذنوب.ويمكن ان نذهب الى ما ذهب اليه صاحب البحر المحيط فهو ما نصبوا اليه ونطمئن حيث قال(أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إنّ جواب لولا متقدم عليها وإنْ كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة

(1) سورة يوسف الآية : 23 - 24 .

مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجداً لهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفي الهم. ولا التفات إلى قول الزجاج، ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيداً فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: وهمّ بها هو جواب لولا، ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب لولا إذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك، ولولا زيد أكرمتك. فمن ذهب إلى أن قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات لقول ابن عطية إنّ قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ولقد همت به، وإن جواب لولا في قوله وهم بها، وإن المعنى لولا أن رأى البرهان لهمّ بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى، أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى: (إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فقوله: إنْ كادت لتبدي به، إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به،وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفاً، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا لهم بها،ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأنّ ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وقد طهرنا

كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري، وابن عطية، وغيرهما.[1]

إن الاستعمال القرآني فيه من الدقة في توظيف الألفاظ ما يحتاج إلى تأمل في تدبره وقد ذكرت أمثلة من الاستعمال القرآني مما ذكروه من المشترك وسأذكر مما عدّوه من الترادف لنرى أنه في النصّ القرآني ليس كذلك فليس هناك تطابق للمعنى في اللفظين وإنما لكل لفظ معنى دقيق لا يطابق رديفه الآخر، وسأذكر ثلاثة نماذج عدّها المعجم من المترادف وهي الكلمات:

1 ـ آنسَ وأبصرَ.

2 ـ زَوْج وامرأة.

3 ـ أَقْسَمَ وحَلَفَ.

ولم تكن هذه الألفاظ من المترادف إنما جاءت في النصّ القرآني كل لفظة بمعنى لا يطابق الآخر بل يكون معناها مختلفاً في سياق استعمالها.

1 ـ **الفعل (آنس) في المعجم:** أبصر، وآنس الصوت سمعه (وآنس ناراً) أبصرها أو نظرها أو رآها[2]. وهذه الألفاظ ليست مرادفة لآنس، فاستعمال آنس القرآني معناه أبصر مع الإحساس بالأنس والشعور بالراحة. وقد استعملت أربع مرات فيما رآه موسى من نار وهو يسير بأهله فآنس إليها وسكنت نفسه لأنّه كان مقطوعاً فعاد إليه الرجاء بالاهتداء[3] بقوله ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى

(1) يُنْظَرْ: تفسير البحر المحيط 5 /294.

(2) يُنْظَرْ :على سبيل المثال لسان العرب ، معجم مقاييس اللغة وغيرها.

(3) يُنْظَرْ : الكشاف للزمخشري 2 / 531 ، مجمع البيان 7 / 30 ، يُنْظَر: الإعجاز البياني للقرآن 217 ، ونظم الدرر للبقاعي:16/563-564

قال تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ (1)

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (2).

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (3)

وقد استعمل الفعل مرة خامسة بمعنى شعرت بالشيء قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (4)

وتصريف الفعل " آنس " يبقى حاملاً دلالته الرقيقة الواضحة والإيناس: إبصار ما يؤنس والإبصار البين لا شبهة فيه كما يقول الزمخشري.(5)

أما الفعل المرادف " أبصر " أو " رأى " فليس له هذا الشعور والإيحاء عند الاستعمال ولا يمكننا أن نقيمه مكان آنس،ولا يطابق معناه فهو بمعنى نظر ببصره أو بمعنى تأمل، وهذا لا يطابق ذاك.

2 ـ أما (زوج وامرأة) فهما في الظاهر مترادفتان لكنهما في الاستعمال القرآني ليس كذلك، إن لفظة " زوج " في القرآن تعطينا العلاقة التي فيها النماء والحكمة والمودة فخطابه لآدم بقوله ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (6).

---

(1) سورة طه الآية :10.
(2) سورة النمل الآية :7.
(3) سورة القصص الآية :29.
(4) سورة النساء الآية:6.
(5) يُنْظَرْ:الكشاف 774/4.
(6) سورة البقرة الآية: 35.

وقـــال: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (2)

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (3).

وهكذا تكون دلالة لفظة زوج في بقية الآيات 70 الزخرف،56 يس،74الفرقان. تدل كلها على تلك المودة والعلاقة الرحيمة،أما لفظة " امرأة " فالاستعمال القرآني يحملها دلالة لا تطابق لفظة " زوج " فالمرأة في النصّ القرآني رمز لعدم المودة والخلاف في العقيدة والخيانة والعقم (4) وشواهدها قوله تعالى في امرأة العزيز ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (5).

وقوله ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (6).

وقوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾ (7)

وقوله تعالى في امرأة فرعون ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (8)

(8) المرأة في الآيتين اختلفت دلالة موقفيهما فالأولى ذكرت في موقف الخيانة لرجل صالح وفي الثانية ذكرت في موقف خلاف في الدين فهي مؤمنة وهو كافر وفي كلا

(1) سورة الروم الآية :21.
(2) سورة آل عمران الآية :15.
(3) سورة النساء الآية:57.
(4) يُنْظَرْ : الإعجاز البياني 229 230 .
(5) سورة يوسف الآية:30.
(6) سورة يوسف الآية 51.
(7) سورة التحريم الآية:10.
(8) سورة التحريم الآية:11.

الموقفين جاءت كلمة امرأة لا زوجة، وكذا عندما يكون تعطيل للنماء فهي امرأة كما جاء في نداء زكريا ربه في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [1] وهكذا يكون الاستعمال القرآني للفظة امرأة في بقية الآيات التي وردت فيها. " فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل فامرأة لا زوج فالآيات في امرأة إبراهيم وامرأة عمران (هود71 والذاريات29 وآل عمران35)[2] وزكريا عندما طلب من ربه في الآية السابقة أن يهب له ولياً يرثه ذكر ذكر لفظة (امرأتي عاقراً) في ندائه، وحينما استجاب له ربه وتحققت الحكمة الزوجية ذكرت بلفظة (زوج) في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3] فحينما كانت عاقراً فهي امرأة وحين أصلحت وتحققت الحكمة فهي زوج،فاللفظان إذن غير متطابقين في الدلالة، وهناك فرق في دلالتها يظهر في سياق الاستعمال.[4]

3- الفعلان (أقسم وحلف) هما في الظاهر مترادفان ويبدو الفرق في دلالتهما في الاستعمال. فالفعل أقسم ومصدره القسم يأتي في سياق الإيمان الصادقة وعدم الحنث ؛ لذلك جاء في القرآن في مواضع مسنداً إلى الله تعالى في كل الآيات التي تبدأ بالحرف (لا) كقوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [5]

وقد يسند القسم إلى الضالين عند توهمهم الصدق أو إيهامهم به قبل معرفة حقيقتهم كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[6]

(1) سورة مريم الآية:5.
(2) يُنْظَرْ:الإعجاز البياني للقرآن : 231 ، يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي:16/563-564 .
(3) سورة الأنبياء الآية:90.
(4) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني 230 .
(5) سورة القيامة الآيات :1-2.
(6) ورة الإنعام الآية :10.

وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [1].

لقد كان الفعل (أقسم) ومصدره في حدود هذه الدلالات في الاستعمال القرآني إنه يستعمل في صدق اليمين وعظمته أو في إيهام الصدق ووهمه على لسان المنافقين والضالين قبل انكشافهم وفضحهم، أما الفعل (حلف) في الاستعمال القرآني فدلالته تفرق عن (أقسم) فسياق استعمال (حلف) يكون في مجال الحنث في اليمين وفي الغالب انه يأتي مسنداً إلى المنافقين كآيات التوبة التي فضحت زيف نفاقهم [2].

وقوله تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] وقوله: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [4].

وقوله: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾ [5]

اذا جاءت دلالة (حلف) في باقي الآيات الكريمات [6]

كل ذلك يدعونا إلى التأمل في الاستعمال القرآني وما جاء فيه من الفروق في الدلالة بين المترادفات ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الترادف موجود لكنه بمعناه العام وليس موجوداً في الأصل فينبغي لنا أن ننظر إلى التطور في اللغة واستحداث الألفاظ الجديدة في الاستعمال أو الدلالات المستعمل منها فالمترادف من الكلم لم يوضع في وقت واحد في بيئة واحدة. فأما أن تكون أحداها أصلاً والأخريات صفات استعملت بمرور الزمن استعمال الأسماء كما ذكر ابن فارس أو أنها لهجات استعملت فيها

(1) سورة المائدة الآية 53.
(2) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني للقرآن 221-222 وللمزيد من ذلك ينظر (سؤالات ابن الأزرق) فقد وردت فيها ألفاظ تفرق عن مرادفاتها في المعنى عند الاستعمال .
(3) سورة التوبة الآية :95.
(4) سورة التوبة الآية :42.
(5) سورة التوبة الآية:56.
(6) يُنْظَرْ: الإعجاز البياني للقرآن 221-222.

ألفاظ بمعنى متقارب وعند جمع اللغة عدَّها اللغويون مترادفات [1] ولكن ظل النظر الدقيق في الاستعمال يشعر بفروق الدلالة، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) وكذا ما أكده ابن فارس كما مرّ ذكره وشيخه أبو العباس ثعلب وأبو علي الفارسي. [2]

فأردتُّ.. فأردنا.. فأراد ربك: في سورة الكهف ذكرت هذه الكلمات الثلاث قال تعالى في الآية الأولى عن السفينة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [3] حيث أضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب، لأنها لفظة عيب فتأدب، بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [4] فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تبارك وتعالى، وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [5] فاقتصر عليه، ولم ينسب الشرَّ إليه، وإن كان بيده بيده الخير والشر، والنفع والضر، إذ هو على كل شيء قدير،ولله تعالى أن يسند إلى نفسه ما يشاء، ويطلق عليا ما يريد، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة، جلَّ وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً.

الآية الثانية قال الله تعالى فيها عن الغلام: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [6].

---

(1) يُنْظَرْ: المزهر1/ 369 .
(2) يُنْظَرْ:نظم الدرر للبقاعي:16/563-564. (وانظر: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي:66).
(3) سورة الكهف الآية : 79 .
(4) سورة الشعراء الآية : 80 .
(5) سورة آل عمران الآية : 26 .
(6) ورة الكهف الاية : 80 - 81 .

(فأردنا) وكأنه أضاف القتل إلى نفسه، والتبديل إلى الله تبارك وتعالى، والأشد كمال العقل والخلق، فأبدلهما الله تعالى ابنة، فتزوجها نبي، فولدت له اثنا عشر غلاماً كلهم أنبياء.

والآية الثالثة تتحدث عن الجدار قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [1].

حيث أسند الإرادة في الجدار إلى الله تبارك وتعالى، لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل، وغيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر ـ عليه السلام ـ أراد ذلك، فالذي أعلمه هو الله تبارك وتعالى أن يريده،وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلى الله تعالى،وقيل: أسند الإرادة إلى الله تعالى هنا لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ [2].

11 ـ خشية إملاق نحن نرزقهم من إملاق نحن نرزقكم: الفرق شاسع وواسع بين الكلمتين، لذلك نجد أن القرآن الكريم عبَّرَ مرة هكذا ومرة هكذا،فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [3] وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [4].

ففي الآية الأولى قدم رزق المخاطبين وهم الآباء، على رزق أولادهم، لأن الفقر موجود بالفعل، وهو السبب المباشر لقتل الأولاد، وما دام الفقر موجود بالفعل، فالإنسان يكون مشغولاً برزق نفسه قبل أن يشغل برزق ولده، وهنا يطمئنه الله تعالى على رزقه فيقول: ﴿ نحن نرزقكم ﴾ يا أصحاب الإملاق وإياهم، فنأتي برزقهم أيضاً،أما الآية الثانية، فالفقر غير موجود بالفعل، وإنما هو متوقع، فهم يخافون إن

(1) سورة الكهف الآية : 82 .
(2) سورة الكهف الاية82،والجامع لأحكام القرآن:11 / 39.
(3) سورة الأنعام الآية : 151 .
(4) سورة الإسراء الآية : 31 .

جاء لهم أولاد أن يأتي الفقر معهم، فيقول تعالى: ﴿ نحن نرزقهم ﴾ نحضرهم ونحضر معهم رزقهم، ونرزقكم أنتم أيضاً [1].

12 ـ السارق والسارقة الزانية والزاني: قدم السارق على السارقة،لأن السرقة وقوعها من الرجل أغلب،لأنه أجرأ عليها،وأجلد وأخطر،فقدم عليها لذلك،قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2].

وقدم الزانية على الزاني،لأن الزنى من المرأة أقبح، وجرمه أشنع، لما يترتب عليه من تلطيخ فراش الرجل، وفساد الأنساب، وإلحاق العار بالعشيرة، ثم بعد كل هذا، الفضيحة بالنسبة للمرأة (بالحمل) تكون أظهر وأدوم،لذا قدمت على الرجل،قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3].

قال القرطبي في تفسيره: قدمت الزانية في هذه الآية،من حيث كان في ذلك الزمان زنى النساء فاشٍ، وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات،وكن مجاهرات بذلك،وقيل: لأن الزنى في النساء أَعَر[4]،وهو لأجل الحَبَلِ أَضَر،وقيل: لأن الشهوة في المرأة أكثر،وعليها أغلب،فصَدَّرَها تغليظاً لتُرْدِعَ شهوتَها،وإن كان قد ركب فيها حياء، ولكنها إذا زنت ذهب الحياء كله،وأيضاً فإن العار بالنساء ألحق، إذ موضوعهن الحجب والصيانة، فقَدَّمَ ذكرَهنَّ تغليظاً واهتماماً [5].فإن قلتَ: فلِمَ قدم الرجل في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] قلتُ: لأن تلك الآية في الحدّ والزنى، وهي في المرأة أقوى وهذه الآية في حكم النكاح،

(1) يُنْظَرْ:التحرير والتنوير: 125 .
(2) سورة المائدة الآية: 38 .
(3) سورة النور الآية : 2 .
(4) أعر : أي أكثر إثماً ، والمَعَرَّةُ: الإثم، وفي التنزيل: ﴿ فتُصِيبَكم منهم مَعَرَّة بغير عِلْم ﴾ قال ثعلب: هو من الجرب، أَي يصيبكم منهم أَمر تَكْرَهُونه في الدِّيات، وقيل: المَعَرَّة الجنايةُ أَي جِنايَتُه كجناية العَرّ وهو الجرب. ينظر:(لسان العرب:66/7).
(5) يُنْظَرْ: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي160/12، نظم الدرر للبقاعي:563/16
(6) سورة النور الآية : 3 .

والرجل هو الأصل فيه، لأنه الراغب والمبادر في الطلب، بخلاف الزاني فإن الأمر فيه بالعكس غالباً [1].

ويمكن لي أن اعبر بما يدور في خلجات نفسي في شأن الإعجاز وأقول:

إنّ القرآن الكريم قد نضدت عباراته نضداً مؤتلفاً، ونظمت فرائده نظماً متلائماً، وضعت كل لفظة منه في موضعها اللائق بها، ورصفت كل كلمة منه إلى كلمات تناسبها وتوائمها، وضعاً دقيقاً ورصفاً تاماً، يجمع بين أناقة التعبير وسلاسة البيان، وجزالة اللفظ وفخامة الكلام، حلواً رشيقاً وعذباً سائغاً، يستلذه الذوق ويستطيبه الطبع مما يستشفّ عن إحاطة واسعة ومعرفة كاملة بأوضاع اللغة ومزايا الألفاظ والكلمات والتعابير ويقصر دونه طوق البشر المحدود!

(1) يُنْظَرْ: فتح الرحمن لما التبس من القرآن ، للشيخ زكريا الأنصاري :99/6.

المبحث العاشر

الإعجاز العلمي

المبحث العاشر

الإعجاز العلمي

من أوضح سمات هذا العصر،انه عصر التقدم العلمي والتكنولوجي،حيث تقدمت البشرية كثيراً في العلوم المادية والمخترعات الحديثة، وبلغت في هذا قمة عالية،ما كان احد من السابقين يحلم أن يصل إليها، وقد أعجب الإنسان المعاصر بالمخترعات والاكتشافات العلمية وأشاد بالعقل الإنساني العجيب، الذي تمكن من تحقيق كل ذلك.

وكان التقدم العلمي في هذا العصر من نصيب((المادية الغربية)) الكافرة قدم فيها العلماء الغربيون التجريبيون الكثير من النظريات والآراء العلمية وأنتجت المعامل والمصانع الغربية الكثير من الأدوات المادية.وبعد ذلك اقبل المفكرون الإسلاميون على القران الكريم، وصاروا يبحثون فيه عن آيات تتضمن إشارات ومضامين علمية، في مختلف مجالات العلم وألوانه وفسروها تفسيراً علمياً على ضوء العلوم والمعارف الحديثة.[1]

تعريف الإعجاز العلمي:

التفسير العلمي مصطلح حديث مكون من كلمتين أولاهما: التفسير الذي هو في اللغة: "كشف المغطى وبيانه"، كما قال ابن الأعرابي وابن منظور[2]، ولذا فقد فسَّر مجاهد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3] بقوله: بيانًا[4].والذي يظهر أن المراد بالتفسير العلمي هو: استخدام العلم التجريبي في زيادة

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني :388.
(2) يُنْظَرْ: تهذيب اللغة للأزهري 406/12 ، ولسان العرب لابن منظور 55/5.
(3) سورة الفرقان الآية: ٣٣.
(4) يُنْظَرْ:تفسير مجاهد88/7، جامع البيان : 12/19.

إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.وهذا التعريف نصٌ على كون العلم التجريبي خادمًا للنصّ القرآني، وليس حاكمًا عليه، كما أن التعريف قصر أثر العلم التجريبي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات، لأن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والسلف الصالح، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة.[1]

وإن أردنا أن نضيّق الدائرة ونعرّف التفسير العلمي بما يُفترض أن يكون عليه وليس بمجرد واقعه السائد، فإننا نضيف كلمة (حقائق) قبل كلمة (العلم التجريبي) لنحصر التفسير العلمي في دائرة الحقائق العلمية لا النظريات والفرضيات التي يجيز بعض المعاصرين توظيفها في فهم دلالة الآية القرآنية[2].

تعريف الإعجاز العلمي:

هو ما يتعلق بإشارة القرآن في كثير من آياته إلى حقائق علمية ثابتة كشف عنها العلم الحديث، ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر، مع أنها كانت مجهولة في عصره النبوة وما بعده لقرون عديدة [3].

وقد ذكر د. عبد السلام تعريفاً فقال: "تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية،وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما"[4].

وتعريف الدكتور فهد الرومي: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن[5].

---

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني :398.
(2) يُنْظَرْ: مناهل العرفان،للزرقاني 281/2، السماء في القرآن: 3، وآيات الإعجاز العلمي في القرآن:35.
(3) يُنْظَرْ: ثقافة الداعية للقرضاوي :15 .
(4) يُنْظَرْ:الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :14 .
(5) يُنْظَرْ: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي 549/2.

وتعريف الدكتور أحمد أبو حجر: التفسير الذي يجاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه[1].

وتعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني: الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية[2].

تعريف د. زغلول النجار: توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية[3].

الضوابط العلمية المنهجية للإعجاز العلمي:

1- اعتقاد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد أولاً وليس كتاب علوم وكونيات.
2- عدم الإفراط والتفريط عند النظر في الآيات الكونية، والاكتفاء بالحقائق العلمية في الاستدلال وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية.
3- الوقوف على مرونة الأسلوب القرآني في توضيح المضامين العلمية بحيث يحتمل ذلك الأسلوب وجوهاً من التأويل.
4- عدم حصر دلالة الآية القرآنية على الحقيقة الواحدة، بل إبقاء الآية مفتوحة الدلالة بحيث تحتمل كل ما يتفق مع معناها. [4]
5- اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.
6- إتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة من خلال النظر في الآيات الربانية في الكون والنفس والآفاق والتعرف على سنن الله في هذا الوجود.
7- الإعجاز العلمي يُثبت عالمية رسالة القرآن الكريم، وذلك لأن القرآن يدعو الناس في كل عصر لدين الله [5].

(1) يُنْظَرْ: التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور أحمد أبو حجر:72.
(2) يُنْظَرْ: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للشيخ عبد المجيد الزنداني وآخرين:33.
(3) يُنْظَرْ: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار:35.
(4) يُنْظَرْ: مباحث في إعجاز القران ،د.مصطفى مسلم:171-176.
(5) يُنْظَرْ: هذه الضوابط بالتفصيل – الإعجاز العلمي – د. عبد السلام اللوح –162-165 .

أبرز المؤلفات في التفسير العلمي على سبيل المثال لا الحصر

أن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم وفتح عيونهم إلى الكون وما في الكون من سماء وأرض وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر ونواميس وسنن وكان القرآن في طريقة عرضه هذه موفقا كل التوفيق بل كان معجزا أبهر الإعجاز لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها على حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أمي نشأ في أمة أمية جاهلة لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة ومهبط الوحي بقرون وأجيال فأنى يكون لرجل أمي كمحمد ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم قال سبحانه مقررا لهذا الإعجاز العلمي[1] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2]

بعد هذه المقدمة يمكن تقسيم ما كُتب حول التفسير العلمي إلى قسمين:

أولهما: الدراسات التأصيلية النظرية التي تناولت التفسير العلمي وحكمت له أو عليه.

القسم الثاني: المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي عمليًّا في كتبهم.

ومع التأكيد على صعوبة حصر جميع المؤلفات لكثرتها إلا أن المقصود من هذا المطلب هو الرصد التاريخي لمسيرة التفسير العلمي وشيوعه في العصر الحديث دون التزام باستقصاء جميع ما كتب في هذا المجال.

(1) يُنْظَرْ: مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 19.
(2) سورة العنكبوت الآية: ٤٨.

القسم الأول: أبرز الدراسات التأصيلية النظرية حول التفسير العلمي:

1- التفسير العلمي للقرآن في الميزان. د. أحمد عمر أبو حجر.
2- التفسير العلمي للقرآن الكريم. د. عبد الله الأهدل.
3- اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. عبد المجيد المحتسب.
4- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث. د. عفت الشرقاوي.
5- اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. مصطفى الحديدي الطير.
6- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. د. فهد الرومي.
7- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر. د. محمد إبراهيم شريف.
8- تيارات التفسير في مصر والشام في العصر الحديث. د. فضل عباس.
9- مناهج المفسرين. د. مصطفى مسلم.
10- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. د. صلاح الخالدي.
11- مباحث في إعجاز القرآن. د. مصطفى مسلم.
12- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. عبد المجيد الزنداني.
13- الفرقان في إعجاز القرآن عبد الكريم الحميد.
14- إعجاز القرآن الكريم. د. فضل حسن عباس.

القسم الثاني: أبرز المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي:

1- الجواهر في تفسير القرآن الكريم. طنطاوي جوهري.
2- العلوم الطبيعية في القرآن. يوسف مروة.
3- الإعجاز العلمي في القرآن. أحمد عبد السلام الكرداني.
4- القرآن ينبوع العلم والعرفان. علي فكري.
5- كشف الأسرار النورانية القرآنية. محمد أحمد الإسكندراني.
6- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. حنفي أحمد.
7- الكون والإعجاز العلمي للقرآن. منصور حسب النبي.

8- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان. محمود شكري الآلوسي.
9- مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية. أحمد محمد الصدِّيقي الغماري.
10- القرآن والعلوم الحديثة. محمود أبو الفيض المنوفي.
11- الإعجاز العلمي في القرآن. د. البشير التركي.
12- القرآن والكشوف الحديثة. وحيد الدين خان.
13- معجزة القرآن. د. نعمت صدقي.
14- القرآن وإعجازه العلمي. محمد إسماعيل إبراهيم.
15- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. عبد الرحيم ماردِيني.
16- الإسلام والطب الحديث. عبد العزيز إسماعيل.
17- الإسلام في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.
18- الإعجاز الطبي في القرآن. د. السيد الجميلي.
19- بين الدين والعلم. عبد الرزاق نوفل.
20- القرآن والطب. أحمد محمود سليمان.
21- القرآن والطب. د. الحاج محمد وصفي.
22- القرآن والعلم الحديث. عبد الرزاق نوفل.
23- لفتات علمية في القرآن. يعقوب يوسف.
24- تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية. محمد بخيت المطيعي.
25- الغذاء والدواء في القرآن الكريم. جمال الدين مهران.
26- القرآن والعلم. محمد جمال الدين الفندي.
27- مع الله في السماء. أحمد زكي.
28- من روائع الإعجاز في القرآن الكريم. محمد جمال الدين الفندي.
29- التوحيد. عبد المجيد الزنداني.

30- توحيد الخالق. عبد المجيد الزنداني.
31- علم الأجنة في ضوء القرآن. عبد المجيد الزنداني وآخرون.
32- إنه الحق. عبد المجيد الزنداني.
33- إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر. عبد المجيد الزنداني وآخرون.
34- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الارتفاعات العالية والإحساس بالألم. عبد المجيد الزنداني وآخران.
35- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار. عبد المجيد الزنداني وآخرون.
36- آيات الله في الآفاق. عبد المجيد الزنداني.
37- آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زغلول النجار.
38- من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن. د. زغلول النجار.
39- صور من تسبيح الكائنات لله. د. زغلول النجار.
40- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء. د. سليمان الطراونة.
41- من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل. د. عبد المنعم الحفني
42- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. د. صادق الهلالي ود. حسين اللبيدي.
43- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات. د. قطب فرغلي ود. السيد زيدان.
44- الإعجاز العلمي في القرآن. حمزة الصيرفي.
45- تفسير الآيات الكونية. د. عبد الله شحاتة.
46- معجزة القرآن. محمد متولي الشعراوي.
47- التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث. د. موريس بوكاي.

48- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زكريا هميمي.
49- الإعجاز العلمي في القرآن. محمد السيد أرناؤوط.
50- إعجاز القرآن على مر الأزمان. غنيم كارم السيد.
51- الجانب العلمي في القرآن. د. صلاح الدين خطاب.
52- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن. د. سليم عبد الحليم.
53- الإعجاز العلمي في القرآن. سامي محمد علي.
54- حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. د. توفيق علوان.
55- القرآن والعلم. عبد الرزاق نوفل.
56- أضواء من القرآن على الإنسان. عبد الغني الخطيب.
57- خلق الإنسان بين الطب والقرآن. د. محمد علي البار.
58 -القرآن في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.
59- القرآن الكريم والعلوم الحديثة. أحمد كامل ضو.
60- الكون بين العلم والدين. جمال الدين الفندي.[1]

المؤيدين للإعجاز العلمي والمانعون له :

مع أن العصر الحديث شهد طفرة هائلة في المؤلفات في التفسير العلمي، إلا أن بدايات ظهور هذا اللون من التفسير ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدًا إلى أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (505هـ) الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، لأن العلوم كلها داخلة في أفعال الله عزَّ وجلَّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن الكريم إشارات إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن الكريم، ومجرد ظاهر التفسير لا

(1) يُنْظَرْ:التفسير العلمي للقرآن جذوره والموقف منه :22-30.

يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه واختلف الخلائق في النظريات والمقولات ففي القرآن الكريم رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بإدراكها"[1].

وزاد الغزالي-رحمه الله- في إيضاح تأييده للتفسير العلمي في كتابه: جواهر القرآن حيث سمى الفصل الخامس منه: "كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن"، فذكر علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، ثم مثّل ببعض الآيات التي لا يتم تفسيرها في رأيه إلا بمعرفة بعض العلوم، كعلم الطب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [2] وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [3]، وقول تعالى ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [4]، وقوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [5]وعلم تشريح الأعضاء [6] في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ ﴾ [7]

وخلال القرن السادس برز الفخر الرازي (ت 606هـ)بوصفه علمًا ضخمًا من أعلام التفسير العلمي من خلال تفسيره الكبير: "مفاتيح الغيب بل إنه اشتد كثيرًا على من لا يرى هذا التوجه، ووصفهم بالجهل والحمق فقال: "ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله -تعالى-من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله -عزَّ وجلَّ -حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته. [8].

(1) يُنْظَرْ: إحياء علوم الدين 258/1، واتجاهات التفسير لعبد المجيد المحتسب 247.
(2) سورة الشعراء الآية: ٨٠.
(3) سورة يس الآية: ٣٩.
(4) سورة يس الآية:6.
(5) سورة يس الآية:38.
(6) يُنْظَرْ: جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي: 30.
(7) سورة الانفطار الآيات: 6-7.
(8) يُنْظَرْ: مفاتيح الغيب للفخر الرازي 121/14.

أما ابن أبي الفضل المرسي (ت 655هـ)فقد نقل عنه السيوطي قوله عن القرآن: قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك [1].

وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)كمؤيد قوي للتفسير العلمي حيث عقد فصلاً في كتابه "البرهان في علوم القرآن عنوانه: في القرآن علم الأولين والآخرين. قال فيه: "وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهّمه الله تعالى [2].

أما جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)فقد أكد على تأييده التفسير العلمي فقال بعد أن ساق كلام ابن أبي الفضل المرسي السابق في تأييد التفسير العلمي: "وأنا أقول: قد أشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى.. إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات"[3].

ولا يمكن للباحث أن يُغفل أعلامًا أيَّدوا هذا الاتجاه كالبيضاوي (ت 791هـ)في أنوار التنزيل، والنيسابوري (ت 728هـ)في غرائب القرآن؛ والألوسي (ت 1270هـ)في روح المعاني؛ ومع ذلك فالملاحظ هو القلة النسبية لأعداد المهتمين بالتفسير العلمي، فعلى امتداد ما يقارب ثمانية قرون لم يستطع الباحثون في اتجاهات التفسير أن يجدوا أكثر من ثمانية مفسرين اهتموا بالتفسير العلمي، وهو عدد قليل بالنسبة للمفسرين على امتداد القرون،كما أن معظم هؤلاء المفسرين الثمانية لم يمارسوا التفسير العلمي عمليًّا في تفاسيرهم بحيث يصح اعتباره اتجاهًا لهم، بل إنهم اكتفوا بالتأييد النظري والدعوة إلى التفسير العلمي، يُستثنى منهم الفخر الرازي الذي

(1) يُنْظَرْ: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي127/2.
(2) يُنْظَرْ: البرهان في علوم القرآن للزركشي 181/2.
(3) يُنْظَرْ: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 129/2.

كان رائدًا بحق للتفسير العلمي ومارسه عمليًّا في تفسيره: مفاتيح الغيب' ومن المانعين له الشيخ أمين الخولي،وقد نقله عنه وارتضاه الشيخ محمد الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون،والشيخ محمد شلتوت حيث يقول((إن طائفة من المثقفين الذين أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة،نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه تعالى يقول ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ فتأولوها على نحو زينّ لهم أن يفتحوا في القرآن الكريم فتحاً جديداً ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة. [1].

نماذج من التفسير العلمي:

أمثلة على الإشارات العلمية في القرآن الكريم:

إن الإعجاز العلمي في القرآن من المواضيع التي بدأ انتشارها مؤخراً بصورة كبيرة وبلغت البحوث العلمية أوجها وأكتشفت كثير من الحقائق التي تحدث عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرن من الزمان ولا يزال المزيد يكتشف خاصة في مجال الفلك وعلم الأجنة والتشريح والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات وآيات لا حد لها بينها الله تعالى في القرآن تكفي لتبيين أنه الحق من عند الله وأن الله هو الحق المبين، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] ولكن عمت قلوب العباد عن تدبر القرآن وفهم ما فيه بما ران عليها من الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[3]، وهذا الموضوع كبير جداً لذا سنكتفي بتوضيح مختصر له والله المعين في كل هداية وتوفيق.

أ- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [4] هذه الآية فيها من التهديد

(1) يُنْظَرْ: تفسير الفخر الرازي 336/5 ،التفسير والمفسرون للذهبي:88/1.
(2) سورة فصلت الآية:53.
(3) سورة محمد الآية:24.
(4) سورة النساء آية : 56 .

والوعيد بعذاب أليم للكافرين يوم القيامة وجاء هذا العذاب في صورة تعذيب للجلود، فلماذا اختار الله سبحانه التعبير بعذاب الجلود دون غيره من ألوان العذاب، إن في ذلك لحكمة حيث استطاع العلم التوصل إلى وجود أوعية ناقلة للإحساس وهي تحت الجلد مباشرة وتصل على خمسة عشر نوعاً كل نوع له وظيفته وطبيعته، لهذا فإن الألم الذي يحصل لجسم الإنسان يذوقه كل الجسم.[1]

ب- قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] بفضل الطيران والبالونات استطاع الإنسان التعرف على ظاهرة طبيعية وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا حيث إن الصاعد يشعر بصعوبة وضيق في التنفس والآية القرآنية صرحت بهذه الظاهرة منذ زمن بعيد، وهذا يدعونا إلى الإيمان الراسخ بأن ما جاء به محمدٌ إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى

وفيه أن صدق الإيمان بالله ووعده ووعيده يوجب للإنسان الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والاستعداد للموت وثانيها: أنه انفتح صدره حتى أنه كان يتسع لجميع المهمات لا يقلق ولا يضجر ولا يتغير، بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر مشتغل بأداء ما كلف به، والشرح التوسعة، ومعناه الإراحة من الهموم، والعرب تسمى الغم والهم ضيق صدر [3].

ج- قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [4].

الرضاعة أوجبها الله سبحانه على الأم لأطفالها حفاظاً على الأطفال من

(1) يُنْظَرْ: الإعجاز العلمي ،د. عبد السلام اللوح :77.
(2) سورة الأنعام آية : 125 .
(3) يُنْظَرْ: التفسير الكبير4/32 ، روح الدين الإسلامي : 54،والإعجاز العلمي،د. عبد السلام اللوح:166-234 .
(4) سورة البقرة آية : 233 .

الناحية الجسدية والنفسية والعقلية فقد تحدث الطب الحديث عن **مقارنة بين الإرضاع الطبيعي والحليب الصناعي وذكر الآتي:**

1- أن مميزات اللبن الطبيعي أنه يتناسب من يوم لآخر عند الأم مع حاجة الطفل على مدار العامين الذي يرضع فيها الطفل.

2- أما الإرضاع الصناعي فهو ثابت التركيز ولا يتناسب مع نمو الطفل، لذلك أشار الأطباء إلى أهمية إرضاع الطفل من أمه وخاصة في الأيام الأولى من ولادته لأن اللبن في هذه الفترة يحتوي على عناصر ومواد لها دخل كبير في تكوين المناعة من الأمراض عند الطفل.

3- إن حليب الأم لا يحتاج إلى تعقيم ولا تعلق به الجراثيم بينما الحليب الصناعي فهو عرضة من خلال أي إساءة في استعمال الأدوات.

4- لبن الأم أسهل في الهضم على الطفل من اللبن الصناعي حيث إن اللبن الصناعي يحتاج هضمه من ثلاث إلى أربع ساعات [1].

هذا بالإضافة لهذه الأنواع من الإعجاز يوجد أنواع أخرى منها: الإعجاز التاريخي، والإعجاز الأخلاقي، والإعجاز النفسي والروحي، والإعجاز التربوي، والإعجاز بأخبار الغيب والمستقبل وغير ذلك [2].

مشاهد الحيوان: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ **(النحل:66)** نعم إنها لعبرة وما بعدها عبرة، لبن خالص أبيض ناصع سائغ للشاربين يخرج من بين فرث قذر ذي رائحة كريهة ودم أحمر، فقد خرج اللبن أبيض لهيباً، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون. حيث توجد في ضروع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن (الحليب) تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم، والكيلوز، وهو خلاصة الغذاء المهضوم، وكلاهما غير مستساغ طعماً، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن هذين السائلين: الدم

(1) يُنْظَرْ: لمحات في إعجاز القرآن :44-45 .
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن ، أ.د. فضل عباس : 250 .

والكيلوز، وتعزز عليهما عصارات خاصة تحيلها إلى لبن في لونه ومذاقه اختلافاً تاماً عن كل منهما.[1]

فما أعظم الإعجاز هذه الآية الكونية التي تصف للناس سراً يتم في الظلام، ومن المحال أن تراه عين إنسان، وتخبر كيف يصنع اللبن في هذا المعمل اللحمي وكيف يطبخ فيخرج ناصع البياض نظيفاً من بين فرث ودم أحمر. فسبحان من أخرج هذا الأبيض من ذلك الأحمر،وهذا النمل الذي ينتظم في مملكته كمملكة النحل تتنوع فيها الوظائف نعرف عنه الشيء العجيب في تعاونه على جمع قوته، وتكوين مساكنه وبيوته وتقاسمه الأعمال والمصالح وصبره وحيلته في نقل الطعام، وخزنه ونشره وتجفيفه، وخرقه للحب حتى لا ينبت في الرطوبة، بأي عقل، بل بأية غريزة يقوم بهذه الأعمال التي ربما يعجز عنها البشر على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عالٍ[2]، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[3].

في العلوم الطبية:

حليب الأم: فإنه بالنسبة للطفل:

1- فإن حليب الأم محفوظ بصورة طبيعية، وبنفس درجة حرارة الجسم وخالٍ من الجراثيم الممرضة –معقم وغير ملوث- وجاهز للإعطاء في أي وقت يحتاجه الطفل الرضيع.

2- يحتوي حليب الأم على جميع المواد الغذائية الأساسية المطلوبة لنمو الطفل وبصورة متناسقة حسب عمره ووزنه ومقدرته على الهضم.

3- نسبة البروتين في حليب الأم تعتبر مثالية بالرغم من كمه المحدد نسبياً.

---

(1) يُنْظَرْ: لمحات في إعجاز القرآن :54-55 ،وينظر: موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:36.

(2) يُنْظَرْ: الإعجاز العلمي ،د. عبد السلام اللوح :177 ، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:98.

(3) سورة النمل الآية:18.

4- الأحماض الأمينية في حليب الأم موجودة بالشكل الذي يفي بالمتطلبات الخاصة للطفل ونموه.

5- نسبة سكر الحليب (اللاكتوز) في حليب الأم (7٪) بينما في حليب البقر (4.7٪).بالنسبة للأم:

1- توفير السعادة للأم وهي تشبع غريزة وعاطفة الأمومة لديها.

2- تكسب الأم راحة ووقتاً وجهداً أقل مقارنة بالجهد والوقت الذي تصرفه في إعداد الرضاعة الاصطناعية.[1]

3- الرضاعة الطبيعية تقلل من نسبة الإصابة بحالات النزف بعد الولادة وبالتالي مرض فقر الدم ومضاعفاته.فضلاً عن كونه هبة من مجانية من رب العالمين، توفر مبالغ ضخمة للأسرة ممكن أن يستفاد منها في سد جوانب ملحة أخرى. إن كلمة الرضاعة ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، في سبع سور، وثمان آيات كريمات.قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[2]

لذا فقد شجع القرآن الكريم على الرضاعة البشرية من الأم أو المرضعة، وليس من حليب البقر أو خلائط الرضع المصنعة معه (الرضاعة الاصطناعية).[3]

(1) ينظر: موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:136.

(2) سورة البقرة: من الآية233.

(3) يُنْظَرْ: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي د. محمد جميل الحبال:46-50

علم الأحياء:

1- الماء أساس الحياة (H_2O):

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]، يوجد بين الأحياء كائنات تحيا دون هواء، ولكن ليس هناك كائن واحد يستطيع الحياة دون ماء. وإن الكائنات الحية –حيوانات أو نباتات أو أحياء مجهرية دقيقة- معظم أجسامها ماء، ولكن يتفاوت في نسبة وجود حسب أنسجتها وخصائصها وبنيتها، وأما في الإنسان فإن الماء يشكل حوالي ثلثي جسمه؛ فقد ثبت علمياً أن الماء هو المركب المهم جداً في تركيب الخلية الحية وأن الماء ضروري جداً لحصول التفاعلات الحيوية، وهو أكبر مذيب للعناصر والمواد الحياتية الأخرى.[2]

ثم إن له خواص عديدة تجعله المادة الأساسية للحياة؛ إذ عند انجماده يخف وزنه –بخلاف بقية السوائل- فيطفو الجليد على السطح ولولا هذه الخاصية لانعدمت الحياة على سطح الأرض فما السر في ذلك؟ أن الماء إذا انخفضت درجة حرارته.. تقلص، شأنه في ذلك كشأن العناصر من الغازات والسوائل وغيرها من الأجسام الصلبة؛ حيث إن كل العناصر التي خلقها الله سبحانه تتمدد بالحرارة، وتتقلص بالبرودة والماء واحد من هذه العناصر، ولكن ازدياد حجم الماء، وتمدده في درجة الحرارة (+4°م) هذه الخاصية، وهذا السر الذي أودعه الله سبحانه في الماء هي التي تجعل الحياة مستمرة على وجه الأرض، فإذا تجمدت المحيطات، كان التجمد زيادة في حجم الماء، وإذا زاد حجم الماء قلت كثافته، وإذا قلت كثافته،طفا على وجه

(1) سورة الأنبياء: من الآية30.
(2) يُنْظَرْ: موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:54.

الماء،إننا كلما تأملنا في آيات الله التي بثها الله في الأرض عرفنا أن لهذا الكون خالقاً عظيماً ومدبراً حكيماً. فتبارك الله أحسن الخالقين.[1]

في علم الكيمياء والمعادن:

الحديد (Fe):

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[2] أن ترتيب سورة الحديد في القرآن الكريم هو (57)، ويعادل ذلك تقريباً وزنه الذري الذي هو (56)، وإذا ما اعتبرنا سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة (لعدم وجود البسملة بينهما) كما قرر ذلك بعض العلماء.. فيكون العدد (56) قد تحقق بالضبط.

وقد تكرر ذكر الحديد في القرآن الكريم ست مرات في إشارة إلى بعض خواصه الكيميائية والفيزيائية، وكما يلي:-

أ- إن أعلى درجة لتأكسد الحديد هو (6) (Higher oxidation state)

ب- إن عدد أطياف عنصر الحديد هو (6)

Line Emission spectra Iron: R، O، Y، E، D، V

جـ- إن العناصر والأواصر التي يرتبط بها في بعض المركبات العضوية هي (6) أواصر.

إن الحديد في الجسم يؤدي إلى النشاط والقوة، والبأس لأنه مسؤول عن كثير من الفعاليات والعمليات الحيوية، والتي بدونها لا تتم هذه العمليات، وبقلته ونقصانه تصاب هذه الفعاليات، وبالتالي: الجسم بكامله بالوهن والضعف الشديدين، حيث وردت عبارة (البأس الشديد) في القرآن الكريم ثلاث مرات وهي تعطي مفهوم القوة

(1) يُنْظَرْ: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي 101-102، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:98.

(2) سورة الحديد: من الآية25.

البشرية كما ورد ذلك في سورة الإسراء الآية:5 وسورة النمل الآية: 33، وسورة الفتح الآية: 16.[1]

ثاني أوكسيد الكربون (الدخان) (CO_2):

إن ترتيب سورة الدخان في القرآن الكريم هو برقم (44)، ولم يأت هذا الترتيب مصادفة، وإنما له خلفية علمية دقيقة، حيث إن الدخان والذي أعلبه مكون من غاز ثاني أوكسيد الكربون (CO_2) وزنه الجزئي (44).[2]

ويمكن إن تردد معي قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3].

(1) يُنْظَرْ: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي 122.
(2) يُنْظَرْ: المصدر نفسه: 101-102.
(3) سورة فصلت الآية:53.

المبحث الحادي عشر

الإعجاز النفسي الإعجاز الروحي

المبحث الحادي عشر

الإعجاز النفسي الإعجاز الروحي

لعل أول من نبه على الإعجاز الروحي -كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم- هو الخطابي في رسالته: بيان إعجاز القرآن حيث قال: قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن الكريم منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها القلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول (ﷺ) من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن الكريم، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً.[1]

فالإعجاز الروحي، يقصد به: التأثير العظيم للقرآن الكريم في نفوس سامعيه ممن يتقنون لغة القرآن الكريم، وما تشعر به تلك النفوس من الحلاوة واللذة والرغبة والرهبة، فلا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه ومستمعه كما لهذا القرآن الكريم[2].

---

(1) يُنْظَرْ:بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الخطابي، أبو سليمان، حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي: 70.

(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن الكريم عباس، د. فضل: 345.

أما قول الخطابيّ فيلاحظ فيه أن الخطابيّ لم ينصّ على أن تأثير القرآن الكريم يمكن أن يكون في غير الفاهمين للغة العرب، كما أنه لم يذكر الإعجاز الروحي إلا بعد أن استعرض في مقدمة رسالته تلك الكلام عن بلاغة القرآن، وما حواه من أجناس الكلام، وأكد إعجاز القرآن من هذا الجانب بقوله: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّناً أصح المعاني ومن هنا: فإنه يفهم من قول الخطابيّ أن تأثير القرآن الكريم في مستمعيه مرتبطٌ بفهم العربية،وليس هذا هو الراجح بل أكّدت الدراسات والتجارب التي أُجريت على غير الناطقين بالعربية تأثرهم بسماع القرآن الكريم.[1]

الإعجاز النفسي للقرآن الكريم

اختلفت أقوال الباحثين في تحديد مفهوم الإعجاز النفسي حيث إنه يتداخل مع الإعجاز الروحي، فهناك من لم يفرق بينهما بما ألزمه للإعجاز النفسي من جوانب نحو د. صلاح الخالدي الذي جعل للإعجاز النفسي جانبين؛ **أولهما:** الحديث عن النفس الإنسانية، وبيان صفاتها، وكشف خباياها، وخفاياها، **وثانيهما:** تأثير القرآن في النفس الإنسانية مؤمنةً كانت أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات[2]. وممن فرَّق بينهما د. فضل عباس الذي نص على الفرق بينهما عادّاً الإعجاز الروحي: تأثير القرآن العظيم في النفوس، أما الإعجاز النفسي فعرفه بقوله: "الإعجاز النفسي هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم، وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذا بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً.[3]

(1) يُنْظَرْ: بيان إعجاز القرآن، للخطابي: 27.
(2) يُنْظَرْ: البيان في إعجاز القرآن : 334.
(3) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن فضل عباس:344.

ومع أنني أتفق مع د. فضل عباس، فالقرآن الكريم كما قال: تحدث عن مكنونات النفس وخفاياها بصورة معجزة، وذلك لأن الله تعالى هو خالق البشر وهو أعلم بحال نفوسهم وسجاياهم، فهو خير من يصفها، ويصورها، ويتكلم عنها، إلا أنني سأتكلم عن الإعجاز النفسي من جانب آخر أفرّق على أساسه بينه وبين الإعجاز الروحي ألا وهو: أن الإعجاز النفسي هو ما يحدثه القرآن الكريم من تغيرات فسيولوجية إيجابية في النفس الإنسانية من سكون، وطمأنينة وراحة نفسية، تبدد القلق والخوف، وتجلب السكون والأمن[1]، انطلاقاً من قوله عز وجل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [2]، وقوله عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، قال القرطبي- رحمه الله-: (اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرّيب، الثاني: شفاء الأمراض الظاهرة).[4]

وجمع القرطبي بين القولين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[5] حيث قال: (أعلم أن القرآن هدىً وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع).[6]

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تأثير القرآن الكريم يكون في من آمن أو لم يؤمن، فهم اللغة العربية أو لم يفهمها، وتوسع بعضهم في جانب البحث فيه، فجعل تأثيره يشمل النبات، والجماد أيضاً، أما الإعجاز الروحي فهو انبهار يحدثه سماع القرآن الكريم، ولا يكون إلا لمن خَبِر لغة العرب، وسلك مسالكهم في مجاري الخطاب، وهو يشمل المؤمن وغير المؤمن بشرط أن يكون فاهماً للغة القرآن.

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن فضل عباس،:344.
(2) سورة الرعد الآية: 28.
(3) سورة الإسراء الآية: 82.
(4) الجامع لأحكام القرآن316/10.
(5) سورة فصّلت الآية: 44.
(6) المصدر نفسه:369/15، وقد أفاض الزركشي في نقل الأخبار عن الاستشفاء في القرآن وذلك في النوع (السابع والعشرون) بعنوان (معرفة خواصه)، انظر: البرهان في علوم القرآن الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله 434/1-436.

وقد يقع التداخل في إطلاق الإعجاز النفسي والروحي بسبب ما ورد في أقوال بعض أهل اللغة من أن النفس والروح واحد لا فرق بينهما، قال ابن منظور: "الروح: النفس، يُذَكَّر ويُؤنّث، والجمع الأرواح.[1] ويعزز هذا التداخل أن الخطابي الذي يُعدّ أول من نبّه إلى هذا النوع من الإعجاز لم يُطلق عليه اسم (النفسي) أو (الروحي)، إلا أن الناظر في تعريف من أطلق الإعجاز النفسي على حديث القرآن عن النفس الإنسانية يجد أن هذا التعريف يختلف تماماً عن الإعجاز الروحي الذي يتحدث عن تأثير القرآن في النفس الإنسانية..[2]

ومن هنا يمكن القول: إن الإعجاز النفسي يمكن أن يكون في حديث القرآن عن النفس الإنسانية، ويمكن أن يكون فيما يحدثه في النفس الإنسانية، ويعنيني هنا الإطلاق الثاني؛ لأن النفس في اللغة تُطلَق أيضاً على الجسد، فقد نصّ ابن منظور على أن النفس يعبر بها عن الإنسان جميعه أو عن الجسد، وأنا أرى أن النفس تطلق على تلك السلوكيات التي يعبر عنها الإنسان مثل الفرح والحزن وغيرها،وإذا أطرقت سمعك معي وجدت الفيصل في القرآن الكريم، حيث قال في النفس ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] فهنا الإطلاق كان النفس، أما الروح،فقال أمرها إلى الله –عزوجل- عندما ترقى في الكمالات الإلهية واجدها في مرتبة الإحسان في قوله (ﷺ) عن أبي هُرَيْرَةَ قال كان النبي ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فقال ما الْإِيمَانُ قال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قال ما الْإِسْلَامُ قال الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قال ما الْإِحْسَانُ قال أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ قال مَتَى السَّاعَةُ قال ما المسؤول عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عن أَشْرَاطِهَا إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا وإذا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ في الْبُنْيَانِ في خَمْسٍ لَا

(1) لسان العرب ابن منظور 77/7.
-(2) يُنْظَرْ: إعجاز القرآن فضل عباس،:235/344.6
(3) سورة يوسف الآية: ٥٣.

يَعْلَمُهُنَّ إلا الله ثُمَّ تَلَا النبي ﷺ) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ (الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فقال رُدُّوهُ فلم يَرَوْا شيئا فقال هذا جِبْرِيلُ جاء يُعَلِّمُ الناس دِينَهُمْ قال أبو عَبْد اللَّهِ جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ من الْإِيمَانِ[1]. حيث قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2] حيث إن الروح هي معرفة الله – عزوجل- حق المعرفة والتجافي عن دار الغرور،والاستعداد ليوم الرحيل،حيث ختمت الآية وما يعلم ذلك الأمر إلا قليل،والله أعلم بمراده.

أما تأثير الإعجاز النفسي للقرآن الكريم على سامعيه فيتمثل في:

تأثيره في نفس المؤمن:

للقرآن الكريم تأثيره في نفس المؤمن، فهو يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبدد الخوف والقلق، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة، ويحميه من الإصابة بالأمراض النفسية [3]، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [4].

(1) صحيح البخاري 27/1،كتاب الإيمان ،باب سؤال جبريل رقم الحديث(50).
(2) سورة الإسراء الآية: ٨٥.
(3) يُنْظَرْ:الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة د. احمد مصطفى، 2.
(4) سورة الزمر الآية: 23.

تأثير القرآن الكريم في المسلمين وغيرهم:

للقرآن الكريم تأثير واضح في المسلمين وغيرهم،وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

من خلال العديد من التجارب التي أجريت حول تأثير القرآن الكريم على سامعيه في أكبر عيادات مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا الأمريكية، وهي دراسات قدّمت ببحث إلى المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول بتركيا، وكان هدف البحث هو إثبات أثر سماع القرآن الكريم باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من المتطوعين.[1]

وكانت خلاصة النتائج على النحو الآتي:

1. أظهرت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن أثراً إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكمَّاً، وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية، وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب، وكمية الدم الجاري في الجلد، ودرجة حرارة الجلد، وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم(سواءً أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، أو كانوا يتحدثون العربية أو غيرها) كانت النتائج إيجابية بنسبة 97%، وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر، ولو لم يفهم السامع معناه، إذ حقق إيجابية قدرها 60%،وكل هذه التغيرات تدلُّ على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي يؤثر بدوره على أعضاء الجسم الأخرى ووظائفها، ولذلك فإنه توجد احتمالية أن يكون ذلك عن طريق إفراز

(1) يُنْظَرْ:الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية ، 431.

الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي، وجهاز الغدد الصماء، وجهاز المناعة.[1]

ولذلك فإن من المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر، يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم لمقاومة المرض أو الشفاء منه،كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها، وبغضِّ النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر. [2]

وأضافت الدراسة أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة لمقاومة الأمراض والشفاء، وقد شملت الدراسة (210) متطوعين أصحاء تتراوح أعمارهم بين (17-40) سنة، وكانوا من غير المسلمين، وتم ذلك خلال (42) جلسة علاجية، وكانت النتائج إيجابية نظراً للأثر المهدئ للقرآن الكريم على المتوتر بنسبة (65%)، وهذا1الأثر المهدئ له تأثير علاجي، حيث إنه يرفع كفاءة الجهاز المناعي، ويزيد من تكوين الأجسام المضادة في الدم ومما يشهد للأثر النفسي من أنه شفاء يورث الطمأنينة ويوجب السكينة ويزيل الخوف والتوتر إضافة لما سبق ذكره من الآيات:

أ. حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي أخرجه مسلم في صحيحة: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة[3]. قال النووي: "قيل: المراد

(1) يُنْظَرْ: المصدر نفسه.
(2) يُنْظَرْ: موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج احمد:98.
(3) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(2074/4).

بالسكينة هنا الرحمة،وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار، وهو أحسن.[1]

ب. الأحاديث الكثيرة الواردة في الاستشفاء بالقرآن الكريم، ومن ذلك عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: "كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم[لديغ]، وإن نفرنا غيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل

ما كنا نأبِنُهُ[2] برقيةٍ، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً، حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم.[3]

ج. الأحاديث الواردة في النفث مع القرآن للرقية. وقد عنون النووي فصلاً من كتابه التبيان ب (النفث مع القرآن للرقية)[4]. ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:"إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ

(1) النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف الدين شرح النووي على صحيح مسلم، 21/17.
(2) نأبنهُ بكسر الباء وضمها، أي نطبه، انظر: السيوطي، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الديباج، (218/5) ، ووضح نص البخاري ما جاء في مسلم من رواية أبي سعيد الخدري أيضاً برقم (2201) (ما كنا نظنه يحسن رقية فرقاه)، وجاءت رواية أخرى عند مسلم برقم (2202) موافقة لنص البخاري.
(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ) صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب(671/8)، رقم (5006)، دار الريان للتراث – القاهرة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (ط1/1987م)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: جواز اخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (1727/4) رقم (2201)و (2202) والنص المذكور للبخاري .
(4) شرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين الشافعي (ت: 676هـ)، التبيان في آداب حملة القرآن:99، قال النووي :"النفث :نفخ بلا ريق (ينظر: شرح النووي 66/8).

على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها.[1]

د. أجاز بعض العلماء كتابة القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى المريض، أو علاج المريض بالماء المقروء عليه.[2]

تأثير القرآن الكريم في الجماد والنبات والحيوان

إن لخطاب الجماد، والنبات، والحيوان مدخلا يمكّن الله منه من شاء من عباده في إفهامهم والفهم منهم، إنها لغة يمتن الله تعالى بها على من يشاء من أصفيائه، كما أن بعض هذه المخلوقات خوطب بالوحي على صورة مخصوصة تتناسب مع خلقه كالنحل، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[3]. وفي طريق سفره عليه الصلاة والسلام إلى الحديبية بركت ناقته فزجرها بعض الصحابة فلم تقم،فقالوا: خلأت القصواء،فقال عليه الصلاة والسلام:" ما خلأت القصواء،وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل[4] فهذا يدل على أن عدم انقياد الناقة لزجر الزاجرين إنما كان لأنها مأمورة من الله، فالجماد، والنبات، والحيوان مخلوقات لله يأمرها الله بما شاء. أما عن تأثرها بسماع القرآن الكريم ففيما يلي بيان ذلك:

أولاً: تأثير القرآن الكريم في الجماد:

ما من شك أن الجماد يتأثر بالذكر، وأن له عبادة مخصوصة لله رب العالمين قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[5]. وقد خصّ بعضهم التسبيح بمن فيه حياة، فأثبته للنبات،

(1) صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوّذات رقم (5016) (679/8).
(2) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن:98، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 318/10.
(3) سورة النحل الآية: 68
(4) صحيح البخاري ومعه فتح الباري،كتاب الشروط ،باب: الشروط في الجهاد رقم (2731) 388/5.
(5) سورة الإسراء الآية:44.

والحيوان، ونفاه عن الجماد، وإلى هذا ذهب الحسن البصري، والضحاك، وقتادة، وقد أخرج ابن جرير مروياتهم في تفسيره[1]، وأورد البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" وإن من شيء (حي) إلا يسبح بحمده"[2]، فخصه بمن فيه حياة،وأورد البغوي أيضا عن قتادة قوله: "يعني الحيوانات، والنامياتِ [3]،وفي رواية ابن جرير عن قتادة:"كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه الروح [4]،ولعل إضافة الروح للنبات هنا مجازية يراد بها الحياة، وإلا فالنبات فيه حياة،ولا روح فيه، وعبارة البغوي المنقولة عن قتادة أدق في أنها في "الحيوانات والنامياتِ "،فقد فرّقت تلك الرواية بين النامياتِ التي هي الشجر ونحوها، وبين الحيوانات، ومن الروايات التي تشير إلى تسبيح الشجر قبل أن ييبس ما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري أنه قدّم له طعام على خوان،ثم قيل له: "يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟: فقال: كان يسبح مرّة.[5]

والخوان مائدة من خشب، والمراد أنها كانت تسبح ما كانت فيها الخضرة قبل أن تيبس وتصبح خشباً لا حياة فيه. ويشهد لتسبيح النبات ما لم ييبس الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فدعا بجريدةٍ، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرةً، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟، قال:" لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن ييبسا[6].

(1) يُنْظَرْ:جامع البيان 92/9.
(2) يُنْظَرْ: تفسير البغوي96/5.
(3) يُنْظَرْ: المصدر نفسه.
(4) جامع البيان 93/15، وذكره ابن كثير في تفسيره 42/3.
(5) صحيح البخاري ومعه فتح الباري كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله رقم (216) (379/1).
(6) صحيح البخاري ،88/1،كتاب الإيمان،باب من الكبائر من لا يستتر من بوله(رقم الحديث213). الحديث213).

والأصح أن نقول بعموم الآية لأنها لم تقصر التسبيح على من فيه روح، فيحمل على من فيه روح، وعلى الجماد، ولا يجوز إخراج الجماد من جملة من يسبح الله إلا بدليل قطعي، ويشهد لتسبيح الجماد، وكلامه، وحركته جملة من النصوص الصحيحة الصريحة التي ثبتت في كتب الصحاح، ومن ذلك:

1- في صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل". (1)

2- في صحيح مسلم، عن جابر بن سمرة قال، قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن "(2)

قال النووي: "فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات،وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (3) وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (4) وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه". (5)

3- ما أخرجه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ: أن موسى عليه السلام ذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال: فجمح موسى بإثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر. (6)

فهذه جملة من النصوص الصحيحة تدل على أن الجماد يتأثر، ويتكلم يُخاطِب، ويُخاطَب، ويسبح، ولا مجال فيها للتأويل، وقد استدل بعضهم(1) بتأثير القرآن على

---

(1) صحيح البخاري ومعه فتح الباري كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم(3579) (679/6).

(2) مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ و تسليم الحجر عليه قبل النبوة،رقم (2277).

(3) سورة البقرة الآية: 73

(4) سورة الإسراء الآية:44.

(5) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (15/36_37).

(6) صحيح البخاري ومعه فتح الباري ،كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (28) ، رقم (3404) (502/6)، (502/6)، و صحيح مسلم ، كتاب: الحيض ،باب: جواز الاغتسال عريانا في الخلوة رقم (339) (267/1)

الجماد بقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وليس فيما ذهبوا إليه دلالة لهم، فالآية من قبيل ضرب المثل في أن الجبل لو فهم لعلم وخشع غير أن الجبل لا يعقل، ولا يفهم لذلك فلا نطلب منه الخشوع،فإن (لو) كما هو معلوم حرف امتناع لامتناع، أي امتنع تصدع وخشوع الجبل لامتناع إنزال القرآن عليه،ومما يؤكد أن الآية من قبيل ضرب المثل، والتخييل قوله تعالى في نهاية الآية (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال ابن كثير عند هذه الآية: "أي فإذا كان الجبل في غلظته، و قساوته لو فهم القرآن، فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع، وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه وعرفتم روعة الإعجاز فيه[3].

معرفة مصدر الأمراض النفسية:

أغلب الأمراض النفسية منشؤها قلة الإدراك التي تؤرق عقول الحائرين في فهم معاني الحياة، والموت والمصير وسبب الخلق والوجود، وعدم الإدراك هذا يؤدي إلى وجود فجوات نفسية، وثقوب في اتضاح الرؤية،ومن ثَم تنشأ الأمراض النفسية من قلق، وخوف، وعدم استقرار.

وكذلك الأمراض الاجتماعية من حسد أو تباغض وتنافر، لكن المؤمن كامل الإيمان المعتمد و المتوكل على الله، يعلم يقينا أنه لم يخلق عبثا، وأن أن الحياة لا تنتهي عند الموت بل هناك دار تجني فيها الثمار وفيها يكون الخلود الحقيقي، يعلم أن ما أصابه من خير أو شر هو مكتوب عليه من عند الله، يعلم أن كل كلمة أو قول،أو فعل هو عمل يؤجر عليه، وهذه المعرفة تحقق الاستقرار ثم السكينة ثم الطمأنينة،

(1) يُنْظَرْ: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية ، 431.
(2) سورة الحشر الآية: 21.
(3) يُنْظَرْ: تفسير القرآن العظيم 344/4.

ومنشأ هذه المعرفة هو الإيمان بالله الحق الذي يسير بالمؤمن في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب منه تعالى، فالمؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأن إيمانه الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته.[1]

ومن هنا يعلم أن التربية القرآنية للنفس البشرية تربية خاصة، تضع الخطوط العريضة على الأمراض التي تصيب النفوس وتعطب الأرواح، وتميت القلوب، ثم ترسم الطريق الواضح نحو العلاج الرباني لجميع تلك الأمراض، وهي لا تتوقف عند تشخيص الداء ووصف الدواء بل تتعدد الوصفات لتتناسب مع جميع أنواع النفوس البشرية وتعالج كل العلل المرضية التي يمكن أن تصيب الإنسان[2].

إن النظرة المعاصرة للأمراض النفسية أن الإنسان يسمع أصوات في نفسه وأفكار تتضمنها هذه الأصوات تبعث له على القلق، الاستفزاز والاضطراب ويعتقد أن سبب هذه الأصوات هو خلل مفاجئ يحدث في الدماغ مما يؤدي إلى أن الدوائر العصبية في الدماغ التي تسمع الإنسان هذه الأصوات، هذا التشخيص خاطئ لأكثر من سبب منها انه يناقض رحمه الله (عز وجل) في تصميم جسم الإنسان على الرحمة فلا يعقل إن يقوم الدماغ بصورة مفاجئة بإصدار أصوات تبعث على القلق والاستفزاز للإنسان. وأيضاً العجز عن التوصل بعلاج لهذه الأصوات باستخدام هذا التشخيص، ودليل آخر على عدم صحة هذا التحليل.[3]

الله (عز وجل) أعطى في القرآن الكريم التشخيص الصحيح حيث أنه سبحانه وتعالى وصف تأثير الشيطان على الإنسان في قوله تعالى (واستفزز) إن المعنى الأول لكلمة (استفزز) هو الخداع والثاني هو الاستفزاز الجسدي. فالشيطان يقوم بخداع واستفزاز الإنسان بصوته.[4]

---

(1) يُنْظَرْ:القرآن وعلم النفس،د. محمد عثمان نجاتي:236،ويُنْظَرْ: في ذلك:القرآن وعلم النفس في المنهج القرآني، د. عبد العليّ الجسماني:33.
(2) يُنْظَرْ:القرآن وعلم النفس،د. محمد عثمان نجاتي:87.
(3) يُنْظَرْ : من أساليب التربية في القرآن الكريم:66.
(4) يُنْظَرْ : المصدر نفسه:65

إن الإثبات العلمي لتأثير الشيطان على الإنسان يمكن رؤيته إذا ما قارنا نتائج دراسة علمية حول الأفكار التي يسمعها المرضى النفسيين التي قام بها أحد أشهر الأطباء النفسيين في بريطانيا.

وهو (Dr.Andrew Lewis) وكانت الأفكار التي يسمعها المرضى النفسيين هي:

1- Harm (السوء)

2- Lust (الفحشاء)

3- Blas Phemy (القول على الله بما لا يليق لجلاله)[1]

ونتائج هذه الدراسة مطابقة تماماً للأفكار التي يوسوس فيها الشيطان للإنسان كما وردت في القرآن الكريم من سوء، فحشاء، والقول على الله بما لا يعلم الإنسان.

فالقاعدة هي أنه إذا جاءت فكرة أو صوت يقول للإنسان وساوس ضد هدى الله عز وجل وبالأفكار التي ذكرت مسبقاً يكون مصدر الوساوس هو الشيطان وليس الإنسان. أما إذا جاءت للإنسان أفكار مع هدى الله (عز وجل) مثل مساعدة الغير تكون رحمة من الله (عز وجل) لهذا الإنسان،والله (عز وجل) لن يحاسب الإنسان على الأفكار التي تحتويها وساوس الشيطان ولكن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على كيفية تعاملهم واستجابتهم لها. ويمكن أن يقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: الذين يعتقدون أن هذه الأفكار هي من أنفسهم وأنهم أذكياء جداً وأن عندهم القدرة على تحليل الأمور بطرق ضد هدى الله (عز وجل) لا يستطيع غيرهم أن يتوصلوا إليها.

القسم الثاني: من الناس يعرفون أن هذه الأفكار والوساوس خاطئة ولا ينفذونها، ولكن لان هؤلاء الناس لا يعرفون مصدر هذا الوساوس والأفكار فأنها تسبب لهم الاستفزاز والضيق والهم

(1) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية ، 43.

وتجعل قدرتهم على الإنتاج قليلة جداً. هؤلاء الناس يقال لهم إن عندهم مرض نفسي. [1]

ذكر الله سبحانه القسمين أو الفريقين من الناس الذي سبق ذكرهم في القرآن الكريم في سورة الأعراف: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2].

القواعد الوقائية النفسية في مراحل العمر: قبل الزواج: ا- يحض الإسلام على اختيار الزوج والزوجة المناسب أحدهما للآخر، ويقول رسولنا الكريم عن عَائِشَةَ قالت قال رسول اللَّهِ ﷺ تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ [3]

وقد ثبت ذلك في أبحاث علوم الوراثة.

2- وينصح الإسلام بعدم زواج الأقارب: "اغتربوا لا تضووا"[4]

3- ويحبذ الإسلام الزواج المبكر ويدعو إلى الصوم، والصبر عند عدم الاستطاعة للزواج. ولا شك أن ذلك يؤدي إلى عدم تعرض إلى شباب للأمراض الجنسية. ويقول رسولنا الكريم (ﷺ) " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".[5]

وفي ذلك أحسن السبل للوقاية من الانحراف والمرض النفسي ويهتم الإسلام بعملية التسامي لامتصاص النشاط الزائد في مرحلة المراهقة، ويوصي رسولنا الكريم بتربية الشباب في قوله: "علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل وينهي الإسلام عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكذا الزنا ويقول الله تبارك وتعالى في قرآنه الكريم: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [6]وقد نادى علماء النفس بالتسامي بالغرائز وقام العديد من الأبحاث التي أثبتت نتائجها أن التسامي والنشاط

(1) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية ، 33.
(2) سورة الأعراف الآية:30.
(3) سنن ابن ماجه633/1،باب القسمة بين النساء ،ولم أجد فيما بحثت على لفظ(إن العرق دساس).
(4) هذا ليس حديثاً للرسول (ﷺ) كما بحثت ،وإنما وجدته في ترتيب إصلاح المنطق:236/1.
(5) صحيح البخاري:673/2،باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبية.
(6) سورة الإسراء الآية: ٣٢.

طريق اللعب وممارسة الهوايات لها أثرها النفسي في زيادة رصيد الصحة النفسية بين الشباب ويهتم الإسلام"م بالزواج بعد بلوغ سن الرشد الاجتماعي ويقول الله جل وعلا في قرآنه الكريم: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ (1).

وهذا يدل على مدى أهمية الفحص النفسي حتى يأنس ولي الأمر نضج من يتولى أمرهم قبل تحميلهم المسئولية ويعطي الإسلام اهتماماً خاصاً للحوامل إبان شهور الحمل، من حيث الاهتمام بالمأكل والمشرب والقول بالمعروف. وعدم تعرضهن للإرهاق إذا كان ذلك يسبب لهن الإجهاد، وأباح لهن الإفطار في رمضان إبان أشهر الحمل حتى يتكون الجنين في أحسن فرص النمو الجسمي والعصبي.(2)

خطوات العلاج من الاضطرابات النفسية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

يقر الإسلام أن كل مولود يولد على الفطرة وهي السلامة من العيوب، فهذه الفطرة التي يولد عليها الناس سوية سالمة من الانحرافات والمرض طارئ عليها في مرحلة من المراحل وله أسباب، والعلاج في الإسلام يهدف إلى ردّ هذه النفس إلى سواء الفطرة، فإذا كان المرض الذي أصاب هذه النفس عضوياً ردت إلى أصل الخلقة السليمة ولذلك علاجه المناسب، وإذا كان المرض الطارئ نفسياً ردت إلى سلامة الفطرة الأولى ولذلك علاجه المناسب.(3) وبعد هذه المقدمة نوجز خطوات العلاج فيما يأتي:

(1) سورة النساء الآية:6.
(2) يُنْظَرْ :النموذج الإسلامي العلاجي في مجال الصحة النفسية . للدكتور جمال ماضي أبو العزايم :98.
(3) يُنْظَرْ:التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي :د.محمد عز الدين توفيق:312.

- **الخطوة الأولى:** إيمان بالله سبحانه والتقرب لله (عز وجل) عن طريق الواجبات والنوافل من صلاة، وصوم قراءة القرآن الكريم وغيرها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (1).
- **الخطوة الثانية:** معرفة أن مصدر هذه الوساوس والأفكار والصورة الذهنية هو ليس نفس الإنسان ولكن الشيطان الرجيم ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ (2) لأن طريق الشيطان ملئ بالشهوات الخاطئة، الكذب، الحسد، وغيرها.
- **الخطوة الثالثة:** عدم اليأس عند مواجهة وساوس الشيطان عندما يكرر الشيطان هذه الوسواس كصوت يسمعه الإنسان في عقله مراراً وتكراراً قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (3).

وهناك تساؤل يطرح نفسه هو: لماذا تعجز المجتمعات الحديثة – بالرغم مما لديها من تطور هائل في التكنولوجيا وفي جميع وسائل الحياة. عن أن تجد مجتمعاً آمناً؟ لقد يحدث هذا بناء على خطأ النظرية الغربية لدراسة علم النفس الإنسانية والحياة الإنسانية بمعزل عن الله (عز وجل) بعيداً عن الدين، فانحدرت الفضائل، وضاعت القيم والأخلاق.(4)

والمنهج العلاجي يعتمد كذلك على خطوات الفحص المتمثلة بالاتي:

الخطوة الأولى:تسجيل البيانات العامة.

الخطوة الثانية:المشكلة الحالية أو المرض الحالي.

الخطوة الثالثة: إجراء فحوص واختبارات.

الخطوة الرابعة: جمع المعلومات وتنسيقها وتركيزها (إعداد ملفات التخزين)(5)

(1) سورة العنكبوت: من الآية45.
(2) سورة البقرة: من الآية168.
(3) سورة الزمر الاية:5.
(4) يُنْظَرْ:النموذج الإسلامي العلاجي في مجال الصحة النفسية:98
(5) يُنْظَرْ :التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية:228-229

ويكمن العلاج من الإمراض النفسية بالاتي:

1- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم بصيغة ((اعوذ بالله من الشيطان الرجيم))
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1)

2- المحافظة على قراءة آية الكرسي خصوصاً قبل النوم: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال ((وَكَّلَنِي رسول اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو من الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ والله لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ قال إني مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قال فَخَلَّيْتُ عنه فَأَصْبَحْتُ فقال النبي ﷺ يا أَبَا هُرَيْرَةَ ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قال قلت يا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قال أَمَا إنه قد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رسول اللَّهِ ﷺ إنه سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو من الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فقلت لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ قال دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فقال لي رسول اللَّهِ ﷺ يا أَبَا هُرَيْرَةَ ما فَعَلَ أَسِيرُكَ قلت يا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قال أَمَا إنه قد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو من الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فقلت لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قال دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بها قلت ما هو قال إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ الله لَا إِلَهَ إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ حتى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللَّهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فقال لي رسول اللَّهِ ﷺ ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قلت يا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بها فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قال ما هِيَ قلت قال لي إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ من أَوَّلِهَا حتى تَخْتِمَ الله لَا إِلَهَ إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ وقال لي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللَّهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الْخَيْرِ فقال النبي ﷺ أَمَا إنه قد صَدَقَكَ

(1) سورة الأعراف الاية:٢٠٠.

وهو كَذُوبٌ تَعْلَمُ من تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيْرَةَ قال لَا قال ذَاكَ شَيْطَانٌ))[1]

3- قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2] وعن أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قال قال رسول اللَّهِ ﷺ الْآيَتَانِ من آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ من قَرَأَهُمَا في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ[3]

4- قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين: عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ((كان إذا اشْتَكَى يَقْرَأُ على نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فلما اشْتَدَّ وَجَعُهُ كنت أَقْرَأُ عليه وَأَمْسَحُ بيده رَجَاءَ بَرَكَتِهَا))[4].

أولا: إن القرآن بما أودع الله فيه من جوانب الإعجاز حجة على سامعه.

ثانيا: الإعجاز الروحي يختلف عن الإعجاز النفسي، فالأول تأثيره في الروح، والثاني تأثيره في الجسد، وهما يؤثران في المؤمن والكافر.

ثالثا: الإعجاز الروحي هو: أثر القرآن في نفس السامع والتالي، وما تجده النفس عند سماع القرآن من الروعة والحلاوة والهيبة، وهو يرتبط بفهم التالي والسامع للغة العربية.

رابعا: الإعجاز النفسي: هو تأثير القرآن في النفس الإنسانية وما يحدثه فيها من تغير فسيولوجي إيجابي يحدث السكينة، ويزيل الخوف والقلق والتوتر، وهو لا يختص بمن يتقن اللغة العربية أو يفهم لغة القرآن.

(1) صحيح البخاري 812/2
(2) سورة البقرة الاية: ٢٨٥
(3) صحيح البخاري 1472/4
(4) صحيح البخاري 1916/4

خامسا: أشارت بعض التجارب على تأثير القرآن الكريم في النباتات، ولا نجزم بيقين تأثير القرآن في النباتات حتى تتحول نتائج الدراسات التي تجرى من النظرية إلى اليقين.(1)

سادسا: الجماد، والنبات، والحيوان جميعها تسبح الله تعالى، وقد ثبت في الأحاديث المتواترة تأثر الجماد بالذكر والقرآن،وذلك في حديث حنين الجذع الذي خشع لسماع ما كان يتلوه النبي ﷺ عنده من الذكر والقران.

سابعا: خصّ بعض المفسرين التسبيح بمن له روح ونفاه عن الجماد، والصحيح أن هذه الصفة تشمل الجماد أيضاً ولا يجوز إخراجه من عموم جملة النصوص إلا بدليل، ولا يوجد.

ثامنا: القرآن شفاء يحمي الإنسان من التوتر، والقلق، ويشفي من الأسقام.

تاسعا: الحيوانات كائنات تتأثر بالسكينة التي تنزل عند تلاوة القرآن، ولم يثبت أنها تتأثر بالقرآن مباشرة، ولا مانع من ذلك إذا ما أثبتت الدراسات القطعية ذلك [2].

تؤكد الدراسات الطبية والنفسية الأثر الكبير للضغوط النفسية التي يتعرض لها الإنسان على أداء جهازه المناعي، فقد كشفت دراسة نشرت في مجلة Proceedings of the National Academy of Science وأثبت فيها العلماء أن الخلايا المناعية لدى المرأة تتعرض للهرم المبكر إذا كانت تعاني من ضغوطات نفسية عالية.

هذه النتيجة تضيف بعداً جديداً لتأثيرات الضغط النفسي التي كانت تنحصر سابقاً في التأثيرات الفيزيولوجية، طالما أن هناك تأثيراً واضحاً على الجهاز المناعي الداخلي للجسم. وقد ركزت الدراسة على التيلوميرز Telomeres الموجودة في

(1) يُنْظَرْ:القرآن وعلم النفس،د. محمد عثمان نجاتي:66و يُنْظَرْ:: في ذلك:القرآن وعلم النفس في المنهج القرآني، د. عبد العليّ الجسماني:69.

(2) يُنْظَرْ: تأثير القرآن الكريم في نفوس سامعيه إعداد:د.محسن سميح الخالدي:77

المورثات لخلايا مناعية محددة لدى 58 امرأة تتراوح أعمارهن مابين 20-50 سنة. ويقوم التيلوميرز بتغليف نهايات الكروموزومات والتقليل من إنتاج الخلايا التي تعد مقياساً للعمر، فعندما تصل إلى أصغر قيمة للخلايا تتوقف عن الإنتاج.[1]

وقد خلصت الدراسة إلى أن التيلوميرزات في الخلايا عند النساء المعرضات للانفعال أو الشدّ النفسي قلَّت نسبة الحياة عندهن 10 سنوات عن اللواتي لا يتعرضن لتلك الضغوطات. فالضغط النفسي المزمن يقصر من عمر خلايا الجسم، وأهمها الخلايا المناعية، كما تقول الباحثة إليسا إيبيا من جامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو. وذكر الباحثون أن الآلية الحقيقية التي تربط بين العقل والخلايا مازالت مجهولة، وسيستمر الباحثون في العمل لمعرفة ما إذا كان هناك أنواع أخرى من الخلايا قد تتأثر بالشد النفسي.[2]

(1) يُنْظَرْ:القرآن وعلم النفس،د. محمد عثمان نجاتي:236،و يُنْظَرْ:: في ذلك:القرآن وعلم النفس في المنهج القرآني، د. عبد العليّ الجسماني:33.

(2) يُنْظَرْ:القرآن وعلم النفس،د. محمد عثمان نجاتي:56،و يُنْظَرْ:: في ذلك:القرآن وعلم النفس في المنهج القرآني، د. عبد العليّ الجسماني:53

المبحث الثاني عشر

التصوير الفني في القرآن الكريم

المبحث الثاني عشر

التصوير الفني في القرآن الكريم

مفهوم الصورة لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور « الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل.

قال " ابن الأثير ": الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته » (1)

و أما التصوُّر فهو « مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته مروره بها يتصفحها » (2)

وأما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فالتصوُّر إذا عقلي أما التصوير فهو شكلي « إن التصوُّر هو العلاقة بين الصورة والتصوير، و أداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة »(3)

و التصوير في القرآن الكريم، ليس تصويرا شكليا بل هو تصوير شامل « فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور » (4).

---

(1) لسان العرب : 492/2

(2) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب صلاح عبد الفتاح الخالدي :– 74

(3) مجلة الرسالة – المجلد الثاني – السنة الثانية – العدد 64 –تاريخ 1934/09/24

(4) المصدر نفسه: 33.

مفهوم الصورة في الاصطلاح :

إنَّ الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة الشعرية في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن، وإنَّ كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير – كما أسلفت – لأن الدرس النقدي العربي كان يحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز و التشبيه و الاستعارة،أما الصورة الشعرية - كمصطلح نقدي- الذي يُعنى بجماليات النصّ الأدبي قد دخل النقد العربي في العصر الحديث تأثرا بالدراسات الأدبية الغربية، ومسايرة لحركة التأثير والتأثر التي عرفتها الآداب العالمية فالأدب العربي وهو يتطور في حركية دائبة نحو الكمال، أخذ بقدر ما أعطى، وهذا ليس عيبا بقدر ما هو سعيٌ نحو المعاصرة ومحافظة على الأصالة و التميز،لقد ركزت أكثر التعريفات النقدية للصورة على وظيفتها ومجال عملها في الأدب، ويلاحظ الأستاذ " الدكتور أحمد علي دهمان أن مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة السريعة التحديد، وإنما هناك عدد من العوامل التي تدخل في تحديد طبيعتها: كالتجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك والتشابه والدقة... فهي من القضايا النقدية الصعبة، ولأن دراستها (الصورة) لا بد أن تُوقِع الدارس في مزالق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية [1] فالصورة عند " أحمد علي دهمان " مركبة و معقدة و تستعصي على الدارس. وللوقوف على مفهوم الصورة الشعرية وأهم عناصرها التركيبية، بودي أن أتتبع تعريفاتها عند القدماء مرورا بالمحدثين الغربيين ثم المحدثين العرب. لقد ظهر الاهتمام بالصورة في الدرس الأدبي عموما، و الشعر خصوصا، منذ حركة الترجمة التي عرفها الفكر العربي عن الفلسفة اليونانية، ومدى الاحتكاك الحادث بين الحضارتين الغربية والعربية.

« فإذا كان الاهتمام بالصورة أصيلا بالنظر إلى الإبداع الأدبي وتحليله، فقد رأينا أن الاصطلاح قديم كذلك، يتردد في المصنفات النقدية، وإنْ برُؤَى تتقارب حينا، وتتباعد حينا آخر، فهو ليس جديدا ولا يخفى أن التذوق الجمالي منذ أن كان

(1) يُنْظَرْ:الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقاً: 269- 270.

الشعر في المجتمعات القديمة كان مصدره الصورة التي تساعد على اكتمال الخصائص الفنية في الفن و الأعمال الأدبية[1]

إذن لابد أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن. فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان.

وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة. تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانيات فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حيّة، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة، فالعيش في رحاب هذا التصوير الفني للقرآن الكريم هو الحياة، وليس مجرد حكاية الحياة.

خصائص التصوير الفني:

1- المعاني الذهنية التي تخرج في صورة حسية:- (حالة ذهنية حسية)

وذلك في بيان أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله –عز وجل- ولن يدخلوا الجنة إطلاقاً، وأن القبول أو الدخول أمر مستحيل. هذه هي الطريقة الذهنية للتعبير عن هذه المعاني المجردة. ولكن أسلوب التصوير يعرضها في الصورة الآتية:-

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[2].

ويدعك ترسم بخيالك صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سم الخياط؛ ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم (الجمل) خاصة في هذا المقام؛ ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء له التأثر، ليستقر في النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة، في أعماق النفس، وقد وردا إليها من

(1) يُنْظَرْ:جماليات الأسلوب :15.
(2) سورة الأعراف: من الآية40.

طريق العين والحس –تخيلاً- وعبر إليها من منافذ شتى، في تؤدة لا من منفذ الذهن وحده، في سرعة الذهن التجريدية.

ويريد أن يبين في موضع آخر أن الله سيضيع أعمال الذين كفروا كأن لم تكن قبل شيئاً، وستضيع إلى غير عودة فلا يملكون لها ردَّاً، فيقدم هذا المعنى مصوراً في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [1] ويدعك تتخيل صورة الهباء المنثور، فتعطيك معنى أوضح وآكد للضياع الحاسم المؤكد.

أو يرسم صورة مطوّلة بعض الشيء لهذا المعنى نفسه[2] في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [3].

2- المعاني المجردة في تصوير الحالات النفسية والمعنوية:- (حالة نفسية معنوية)

فعندما يريد أن يكشف عن حال أولئك الذين يهيئ الله لهم المعرفة فيفرون منها كأن لم تهيأ لهم أبداً؛ ثم يعيشون بعد ذلك هابطين تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم، بما عملوا وبما جهلوا؛ فلا هم استراحوا بالغفلة، ولا هم استراحوا بالمعرفة، فيرسم لهم هذه الهيئة:- ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [4].

وفي الصورة تحقير وتقذير – يحقق الغرض الديني- ولكنها من الوجهة الفنية صورة شاخصة، فيها الحركة الدائبة. وهي صورة معهودة فهي في تثبيت المعنى

(1) سورة الاية الفرقان:23
(2) يُنْظَرْ: التصوير الفني في القران :36.
(3) سورة إبراهيم من الآية 18.
(4) سورة الأعراف:175-176.

المراد بها أشدّ وأقوى. وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني، كالشأن في جميع الصور التي يرسمها القرآن الكريم.

ويريد أن يوضح حالة تزعزع العقيدة، حيث لا يستقر الإنسان على يقين، ولا يحتمل ما يصادفه من الشدائد بقلب راسخ، ولا يجعل عقيدته في معزل عن ملابسات حياته، بعيدة عن ميزان الربح والخسارة. فيرسم لهذا التزعزع صورة تهتز وتترنح وتوشك على الانهيار في قوله تعالى:- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [1] وكذلك الذي لم يقم بنيانه على غير التقوى ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ ﴾ [2] (فهنا قد أكمل الحركة الأخيرة التي كانت متوقعة دون أن يذكر ولو كلمة (ثم) في موضع (الفاء) (فانهار) لأن هذا المدى الطويل، قصير، حتى لا ضرورة لهذا (التراضي). والآن نأخذ في ضرب الأمثلة على التصوير المشخص، لمشاهد الحوادث الواقعة والأمثال المضروبة، والقصص المروية، فالطريقة فيها واحدة، والشبه بينها قريب:[3]

ها هو ذا يتحدث عن (الهزيمة) فيرسم لها مشهداً كاملاً تبرز فيه الحركات الظاهرة والانفعالات المضمرة، وتلتقي فيه الصورة الحسية بالصورة النفسية، وكأنما الحادث معروض من جديد، دون أن يُغفل منه قليل أو كثير إذ يقول (جلّ وعلا) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ ﴾ [4] فهي حركة نفسية أو حسية من حركات الهزيمة وسمة ظاهرة أو مضمرة من سمات

(1) سورة الحج: من الآية11.
(2) سورة التوبة: من الآية109.
(3) يُنْظَرْ: التصوير الفني في القران:41-42.
(4) سورة الأحزاب الاية:9-11.

الموقف، لم يبرزها هذا الشريط الدقيق المتحرك، المساوق في حركته لحركة الموقف كله؟

فكل حركة وسمة هي مسجلة ظاهرة، كأنها شاخصة حاضرة، أما الصورة النفسية فخالدة تتكرر في كل زمان، حيثما التقى جمعان وتعرض أحدهما للخذلان.

ثم نأخذ في عرض نماذج من الأمثال القصصية التي تضرب في القرآن:-

لنعرض مشهداً من قصة إبراهيم، وهو يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل وكأنما نحن نشهدهما يبنيان ويدعوان الآن، لا قبل اليوم بأجيال وأزمان: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (1)

لقد انتهى الدعاء، وانتهى المشهد، وسدل الستار، هنا الحركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء، هي التي أحيت المشهد وردته حاضراً. فالخبر (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) كان كأنما هو الإشارة برفع الستار ليظهر المشهد: البيت، وإبراهيم وإسماعيل، يدعوان هذا الدعاء الطويل.

وكم في الانتقال من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز فني بارز يزيد وضوحاً وذلك هو سرّ الإعجاز.

ثم لننتقل إلى مشاهد القيامة والى صور النعيم والعذاب، فقد كان لها من التصوير الفني نصيب، فنحن أمام مشهد من الإسراع والخشوع، أشد في النفس هولاً واكمد في التصوير لوناً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (2)

أربع صور متتابعة متواكبة، أو أربع مشاهد لموقف واحد، يتلو بعضها بعضاً في الاستعراض. وهي صورة فريدة للفزع والخجل والرهبة والاستسلام، يجللها ظل كئيب ساهم يكمد الأنفاس. وهي صورة ترسم كذلك في وسط حي: هؤلاء آدميون،

(1) سورة البقرة الايات:127-128.
(2) سورة إبراهيم الايات :42-43.

بينهم وبين المستمعين صلة الجنس المشترك، والحس المتشابه فهي ترتسم في نفوسهم حية، ويصل الشعور بها من هؤلاء إلى هؤلاء بالمشاركة الوجدانية وبالتخيل المحسوس، فإذا قرأها القارئ تمشت رعدة الهول في حناياه، كأنما يلقاه!.

وكذلك في قوله تعالى موقف آخر من مواقف البعث مؤلف من مشاهد عدة، بين كل منها والآخر فجوة يملؤها الخيال: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1] فهذه هي الصيحة الأولى أخذتهم وهم يتجادلون ويتخاصمون، فلم يستطيعوا حتى التوصية، لأنها عجلت بهم إلى القبور.. ثم: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [2] ثم يفركون عيونهم فيتحققون ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [3] وقد حضروا فعلاً، وارتسم المشهد، وها هم أولاء يتلقون الخطاب على مرأى ومسمع ممن يقرأون الآن هذا الكتاب! ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [4]

ونحسب أننا أمام مشهدين بارزين متناسق الخطوات، متقابل الجزيئات لا يحتاج منا إلى توضيح أو بيان. فلنتابع خطوات الفريقين إلى ما خلف الجدران ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [5].

(1) سورة يّس الايات:49-50
(2) سورة يّس الايات:51-52
(3) سورة يّس الايات:53-54.
(4) سورة يّس الاية:54.
(5) سورة الدخان الايات:43-50.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1].

وننتقل إلى مشهد آخر من مشاهد الأسلوب التصويري، وهو مشهد من مشاهد الطبيعة الصامتة الخالدة يلفت النظر إليه دليلاً على قدرة الله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [2].

هذه لوحة طبيعية منسقة يوجه إليها البصر، لينقل البصر ما يراه إلى النفس، ليقع في النفس ما يقع من الأثر. لتؤمن بقدرة الله (ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا) وهي لوحة معروضة في كل حين. ولكنك تقرأ هذه الآيات، فالتفت إليها كأنما تعرض أول مرة في هذا الوجود وتلك طريقة القرآن في كل ما يوجه إليه النظر من مشاهد الطبيعة ومشاهد الحياة في جميع المناسبات.

وفي منظر الظل الذي تلقيه الأجرام فيبدو ساكناً، وهو يتحرك ببطء لطيف: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [3] وفي هذا المشهد جمال طبيعي يغري الخيال بالجولان، ويملي للخواطر في الهيمان. وكم في المشاهد المألوفة المكرورة ما يبدو جديداً، كأنما تتملاه العين أول مرة، حين تتجه إليه بالحس الشاعر المتفتح، والعين المتيقظة للألوان. لأن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم.

وننتقل إلى لون آخر من ألوان التصوير وهو التخييل الحسي والتجسيم إن (التخييل الحسي) هو حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان، أو الحياة

(1) سورة الدخان الايات:51-56.
(2) سورة الملك الايات:3-4.
(3) سورة الفرقان الايات:45-46.

المضمرة في الوجدان. وهي التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصورة مع اختلاف الألوان.

أما (التجسيم): تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم، وإنه ليصل في هذا إلى مدى بعيد، حتى ليعبر به في مواضع حساسة، وهي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن.

والآن نأخذ في ضرب الأمثال:

1) لون من ألوان (التخييل) يمكن أن نسميه (التشخيص) يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية.

هذا هو الصبح يتنفس: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [1] فيخيّل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء، على وجه الأرض والسماء.

وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار، فلا يستطيع له دركاً ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ [2] ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة، التي لا نهاية لها ولا ابتداء.

أو هذا هو الليل يسري: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ **(الفجر:4)** فتحس سريانه في هذا الكون العريض، وتأنس بهذا الساري على هينة واتئاد.

وهذا الظل الذي يلجأ إليه المجرمون ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ ﴾ [3] ففي نفسه كزازة وضيق، لا يحسن استقبالهم، ولا يهش لهم هشاشة الكريم، فهو ليس فقط (لا بارد) ولكن كذلك (ولا كريم)! وكثيراً ما يجتمع التخييل والتجسيم في المثال الواحد من القرآن، فيصور المعنوي المجرد جسماً محسوساً، ويُخَيَّل حركة لهذا الجسم أو حوله من إشعاع التعبير من ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ

(1) سورة التكوير الاية:18.
(2) سورة الأعراف: من الآية54
(3) سورة الواقعة الايات :43-44.

﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1] فكأنما الحق قذيفة خاطفة تصيب الباطل فتزهقه. وكأنما الرعب قذيفة سريعة تنفذ في القلوب لغورها.

إذن التصوير: هو السمة البارزة في عرض مشاهد الكون، ومشاهد الآخرة تحقيقاً للجوانب الفكرية التي قصد إليها القرآن الكريم.[2]

وقد تميزت الصورة الأدبية للمشاهد بما تثيره من المشاعر المختلفة والعواطف المتباينة.. مما دفع الباحثين على تعاقب الأجيال إلى تلمس روعتها لما لها من آثار نفسية رائعة.

ويأتي التصوير المعتمد على الحقيقة؛ حيث يأتي مرافقاً مع سياق الفكرة ليجلو التعبير عنها، كما أن أسلوب الحوار يتدخل وأسلوب الوصف في كثير من المواضع فيكون جزءاً متمماً لوصف المشاهد. ومن ذلك الحوار التصويري قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾[3].

ويأتي التصوير المعتمد على التشبيه والتمثيل، حيث حفل القرآن الكريم بهذه التشبيهات الرائعة المصورة للمعاني أدق تصوير وأبلغه وأروعه. وجاء ذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[4] أعمق تصوير للحياة الدنيا نراها زاهرة تملأ الصدور فرحاً، والنفوس سروراً، والقلوب آمالاً، إذا هي مظلمة داكنة. فمباهجها أحلام وسراب، كالنبات يهيجه الغيث فتصبح الأرض مخضرة نضرة،

(1) سورة الأنبياء من الآية18.
(2) يُنْظَرْ :إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني :342.
(3) سورة صّ الايات:59-64 .
(4) سورة الكهف الاية:45.

شذية عطرة حتى إذا استغلظ واستوى وبلغ المدى، أصبح هشيماً تذره الرياح كأن لم يكن بالأمس وهكذا الحياة وزينتها.

ويأتي التصوير المعتمد على الاستعارة؛ والاستعارة هي لون من ألوان التصوير المعجز، وهي إحدى السبل التي تكشف عن معانيه وبيان مضمونه ومحتواه. ومن أروع الاستعارات القرآنية فيما يبدو تلك التي اختصت بالمشاهد الكونية ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [1] استعار الظلمات للكفر، والنور للإيمان، والمعنى المشترك بين الظلام والكفر هو الضلال وبين النور الإيمان هو الهداية، الظلمات أشمل من الجهل فهي الكفر والغي والضلال يتعثر الخابط في ظلامها، ويضل القاصد. وفي جميع الظلمات إشارة إلى أن طرق الكفر متشعبة وكثيرة، وأفرد النور، لأن طريق الإيمان واحد مستقيم يهدي الحائر.

الحياة الشاخصة في التصوير القرآني:

الصور القرآنية المتخيلة معروضة بطريقة حية مؤثرة، ويكاد القارئ المتخيل يراها وهي تتحرك كالإحياء.ومن الأمثلة على قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [2].

الحديث في الآيتين عن أهوال يوم القيامة، وهي أهوال عظيمة شديدة مخيفة، وليست معروضة عرضاً جامداً، وإنما هي معروضة عرضا مصوراً شاخصاً، وقارئ الآيتين يرى بخياله مشاهد ولقطات لزلزلة الساعة وهوله ورعبها وفزعها.والهول والفزع والتصوير في إن الحامل تضع حملها وتسقطه من شدّة هذا

(1) سورة البقرة: من الآية257.
(2) سورة الحج الاية:٢ .

اليوم، وقال (مرضعةٍ) ولم يقل مرضع لأنها في حال إرضاع مستمرة، ومن شدة الهول تلقي بفلذة كبدها.فما أعظم هذا التصوير وما أروعه.[1]

والحركة المتجددة في التصوير القرآني: مثال ذلك: قال تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾[2].

التناسق الفني في التصوير الفني: ويبدو ذلك في المظاهر الآتية:

أ-استقلال اللفظ برسم الصورة: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3].

ب- التقابل بين صورتين حاضرتين: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[4] في الآية صورتان متقابلتان حاضرتان:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[5] حيث يتخيل للقارئ صورة للدواب مبثوثة في السماوات والأرض.

---

(1) يُنْظَرْ:إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني:344.
(2) سورة الأحزاب الآيات ٨ – ١٤.
(3) سورة التوبة الآية ٣٨.
(4) سورة الشورى الآية ٢٩ .
(5) سورة الشورى الاية :29.

الثانيـة: فـي قولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ حيث يتخيل القارئ صورة للدواب المبثوثة المتفرقة في السماوات والأرض وهي تجمع بكلمة واحدة لقد قابلت الآية بين مشهد البث ومشهد الجمع في لحظة على طريقة القران المصورة،ويشهد خيال القارئ هذين المشهدين العظيمين،قبل أن ينتهي لسانه من تلاوة الآية.[1]

ت-التقابل بين صورة ماضية وأخرى حاضرة: قال تعالى: ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

ث-تناسق الإيقاع مع السياق: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾[3] والتناسق هنا في حذف الياء لتحقيق التناسق في الإيقاع الجذاب المتناسق مع السياق ومع الفواصل في الآيات.

ج-التناسق في رسم الصورة: الصورة القرآنية مرسومة بتناسق جذاب، وقد توفر لها أدق مظاهر التناسق الفني،ويكون التناسق في وحدة الرسم، والتناسق في الألوان، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] جمعت الصورة المعروضة هنا بين السماء والأرض والجبال والجمال، وهي أربع مظاهر للضخامة في هذه المخلوقات، وأجزاء الصورة موزعة بتناسق فني في:

أ- في الاتجاه الأفقي لقطتان: السماء مرفوعة، والأرض مبسوطة.

ب- في الاتجاه الراسي لقطتان: الجبال لمنصوبة، والجبال صاعدة السنام.

---

(1) يُنْظَرْ :إعجاز القران البياني ودلائل مصدره الرباني :349.
(2) سورة الواقعة الآيات ٤٠ – ٤٥.
(3) سورة القمر الآيات ٦ – ٨.
(4) سورة الغاشية الآيات ١٧ – ٢٠.

ويكون التناسق في رسم إطار الصورة: قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [1] إن هذا الإطار مكون من جزأين: الضحى الرائق، والليل الساجي وهما أصفى أنين من آونة الليل والنهار، واشف أنين تسري فيهما التأملات[2].

ولن نستطيع أن نفيض في الأمثلة والنماذج، ولو أردنا أن نستقصي الكلام في تصوير القرآن ومقوماته ومظاهره، لجفّ المداد ونفذ الورق دون أن نوفي الكلام حقه ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [3].

فان كنت قد ألقيت السمع إلى ما قلنا وأنت شهيد بعقلك الصافي المتحرر وقفت على الحق في كل الذي ذكرناه، وأيقنت أن هذه المعجزة التي تصورت كلاماً يتلى ليست مما يصوغه بشر، ولا ينبغي أن تكون مادة كَذِب كَذَبَ بها محمد (ﷺ) على الله عزّ وجلّ، بعد أن عاش أربعين عاماً صادقاً بين الناس (الصادق الأمين).

أما إن كنت تتسمع إلى ما أقول بأُذن يجثم من ورائها عناد متحكم أو غيظ متغلب، أو هوى لا قبل لك به، فليس للمنطق أيّ حيلة مع مثل هذه الأذن وإن بدت أنها صاغية.

ولقد جسد الله – عز وجل- هذا الغيظ والغرض والهوى في صورة محسوسة منظورة إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ

(1) سورة الضحى الآيات ١ –٢.
(2) يُنْظَرْ :التصوير الفني في القرآن :103.
(3) سورة الكهف الاية:109.
(4) سورة الحجر الايات:14-15.

المبحث الثالث عشر

القصص القرآني- الإخبار عن العهود الغابرة-

المبحث الثالث عشر

القصص القرآني- الإخبار عن العهود الغابرة-

معنى القصة في اللغة والقرآن الكريم

معني القصة في اللغة :

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[1]. أي تتبعي أثره. وقال تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[2]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقصّ: البيان. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[3]... أي نبين لك أحسن البيان. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[5].

والاسم منه القصّ. والقاص من يأتي بالقصة على وجهها. لأنه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر.

وجمع القاص: قصاص بضم أوله. وقصّ الشئ: قطع من باب رد واقتصصت الحديث رويته علي وجهه. والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر. كالقصص بالفتح، وتجمع على قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص.

(1) سورة القصص :آية 11.
(2) سورة الكهف : آية 64.
(3) سورة يوسف :آية 3.
(4) سورة الأعراف : آية 176.
(5) سورة غافر : آية 78.

والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه[1].

ومما تقدم يتبين لنا: أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعنى القرآن الكريم. كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها على وجهها. ويؤيد ذلك أن القصص بمعنى القطع. فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته. دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعنى اللغوي على أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها. فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا ترى أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة. لأن القاص تتبع الأثر، وأتى به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

معنى القصة في القرآن الكريم:

على هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [2]. أي الخبر الصادق. وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [3].. ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ [4]..

فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة" [5].

(1) يُنْظَرْ: تاج العروس 4507، الصحاح 3 / 1051والمصباح المنير 693.
(2) سورة آل عمران : آية 62.
(3) سورة الكهف : آية 13.
(4) سورة القصص : آية 3.
(5) يُنْظَرْ:القصص القرآني د. عبد الباسط بلبول :36.

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين إلى غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم.

أما حكاية القرآن عمّا حدث لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم مع قومه فلا يعد من قصص القرآن وذلك كغزواته وزواجه وما حدث بينه عليه الصلاة والسلام وبين أصحابه. يؤيد ذلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [1].

وبهذا تري أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعنى الأدبي الحديث. وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، "وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري على ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير مادامت لم تقع"[2].

ذلك أن القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه"[3].

ولعل من الضروري أن أفرق بين القصة بهذا المعنى – أعني في القرآن الكريم - وبين الأسطورة. "فالأساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور بالضم وبالهاء في الكل... وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب، قال الليث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف"[4].

---

(1) سورة طه : آية 99.
(2) يُنْظَرْ: القصص القرآني د. عبد الباسط بلبول 36.
(3) لقصص القرآني في مفهومة ومنطوقة 39.
(4) تاج العروس 1 / 2946.

وبهذا تري أن الأسطورة لا تطلق إلا علي الأكذوبة من الكلام، وعلى القول الذي لا يعقل كتأليف الأباطيل والخرافات.

أما القصة القرآنية فقد بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه[1].

وموضوع القصة في القرآن، يشترك مع موضوعات القرآن الأخرى، في القصد إلى تحقيق الغرض الكلي الذي تنزل القرآن من أجله فللقصة في القرآن إذاً غرض أساسي، هو تحقيق المعنى الكلي الذي جاء به القرآن إلى الناس. والغرض من القصة القرآنية ثلاثة أمور:

1- إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية لرسول الله (ﷺ) فلما جاء القرآن بقصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة، على نحو يتفق جملة وتفصيلاً مع ما أثبته التوراة والإنجيل من عرض تلك الأخبار والقصص، كان ذلك دليلاً لا يقبل الشك بأن هذا القرآن ما كان حديثاً يفترى، ولكن وحي من الله عز وجل.

ولتنبيه الناس إلى هذه الدلالة، يعّقب الله (عز وجل) على كل قصة ينتهي من عرضها بما يثير الانتباه إلى أن هذه المعلومات لا يمكن أن تكون قد أتت إلى محمد (ﷺ) إلّا من نافذة الوحي المجرد.

فهو يقول بعد عرض قصة يوسف (عليه السلام) بتفصيلها الواسع المعروف: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[2] العبرة والموعظة وتأتي في أحد مظهرين:

أ- بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عما حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك، لتجبّرها وعنادها واستكبارها على الحق.

(1) يُنْظَرْ:القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة : 40.
(2) سورة يوسف الاية:102 .

ب- التنبيه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد، وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف. كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [1]

2- تثبيت فؤاد الرسول (ﷺ) في مجال الدعوة، وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه له، وبيان أن الله (عز وجل) ينصر رسله مهما نزل بهم العذاب وطاف حولهم البلاء.[2] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [3].

عناية القرآن الكريم بالقصص:

القصة كانت – ولا تزال – مدخلا طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ما للقصة من سلطان في الحياة. ومن أثر في تغيير أوضاعها وتلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية [4]. فهي ذات تأثير فعال في قيادة الجماعات البشرية في كل وقت وحين.

والدول المتحضرة اليوم تعني عناية كبيرة بأدب القصة، ذلك لما تقوم به من رفع المستوي والفكري والثقافي، والقدرة على التعبير والمتعة النفسية إذ القصة انعكاس لحياة المجتمع الذي أنتجها[5].

وإذا كان البشر يعنون بهذا النوع من الأدب. مع قصورهم في كشف سمات الواقع الإنساني، أفلا يعني القرآن الكريم – وهو كتاب الإنسانية الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بالقصص؟ فيقص علينا حال الأمم السابقة

(1) سورة مريم الاية:34.
(2) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان :221-222
(3) سورة الأحقاف من الآية 35 .
(4) ينظر :القصص القرآني :7.
(5) يُنْظَرْ: المصدر نفسه : 108.

والمجتمعات البائدة التي تتكرر أحداثها مع الزمن. ويصف عللها وأمراضها، ويعالجها بما يكفل لها الاستقرار والفلاح في الدنيا والآخرة.

وفي هذا المبحث سأحاول الإجابة علي سؤال يتردد علي الذهن هو:

لماذا عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص ؟ فأقول:

عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص لأغراض أهمها ما يأتي:

1- الدعوة إلى التوحيد، فلم يرسل الله رسولا قط إلا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1].

وكذلك الدعوة إلى أصول الديانات من البعث والإيمان بالكتب والرسل والأخلاق العامة التي لا تصلح المجتمعات بدونها[2].

2- بيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة، وأن الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد ربّ الجميع، فلا عذر لمن يتخلف عن الإجابة ويتبع هواه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [3]. ويقول تعالى في قصة نوح ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ ([4].

وفي شأن صالح عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [5].

وهود عليه السلام يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا

(1) سورة الأنبياء : آية 25.
(2) المرجع السابق : 109.
(3) سورة الشورى : آية 13.
(4) سورة الأعراف : آية 59.
(5) سورة هود : آية 61

لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [1].وقال تعالى في شأن شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [2].

3- إثبات الوحي والدلالة على صحة رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فإن هذا القصص إخبار بالغيب بالنسبة له ﷺ لأنه أميّ لم يقرأ هذا القصص من كتب السابقين. ولم يثبت أنه تعلم أو تلقي شيئاً من ذلك من أحبار اليهود والنصارى، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والإحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على أنه وحي يوحي. وأن الرسول ﷺ لم يأت به من تلقاء نفسه. وقد نصّ القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [3]. وقال تعالى في قصة مريم: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [4].

واقرأ في هذا ما جاء تعقيباً على قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [5].﴿ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [6].

إن في أخبار الرسول صلي الله عليه وسلم بهذه الغيوب الماضية وهو لم يكن حاضراً ولا مشاهداً ولا مقيما بينهم. مع انتفاء تعلمه ذلك من بشر دليل على نبوته وإثبات لرسالته ﷺ.

---

(1) سورة هود : آية 50
(2) سورة هود : آية 84.
(3) سورة يوسف : آية 3.
(4) سورة آل عمران : آية 44.
(5) سورة القصص : آية 44.
(6) سورة القصص : آية 45، 46.

4- التأسي بأولي العزم من الرسل فيما لا قوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون على مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة، ولم يخالجهم شك إلى أن قضي الله أمره وأنجز لهم وعده. فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1]. وهود عليه السلام قالوا له: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [2]. و استهزأوا بشعيب عليه السلام وقالوا له: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [3]. وعيسى عليه السلام أرادوا أن يقتلوه. قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [4].

5- تسلية النبي ﷺ وتثبيت فؤاده وتقوية عزيمته رغم ما يلاقي من أذي واضطهاد، فما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله، وإن يكذبوه فقد كذبت رسل من قبله فصبروا علي ما كذبوا. قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [5]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [6]. وفي هذا أيضا تثبيت – كذلك – للمؤمنين. وغرس الثقة في نفوسهم وتسليتهم عما أصابهم، بما آلت إليه حال المؤمنين السابقين وحال الكافرين.

6- إعلام النبي ﷺ وإعلام المسلمين بأحوال الأنبياء والأمم السابقين لتكون لديهم الحجة لمعارضة أهل الكتاب في تحديهم وتعنتهم كما قال تعالى: (قُلْ فَأْتُوا۟ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [7]. وقد تؤدي هذه المحاجة إلي إيمان بعض

(1) سورة الأعراف : آية 60.
(2) سورة الأعراف : آية 66.
(3) سورة هود : آية 91.
(4) سورة النساء : آية 157
(5) سورة هود : آية 120.
(6) سورة الأنعام : آية 34.
(7) سورة آل عمران : آية 93.

الناس[1]. وكذلك دفع تعنتهم في أسئلتهم التي كانوا يريدون بها تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم.

7- في القصة القرآنية دلالة على قدرة الخالق، من حيث الإعطاء والمنع والإنجاء والإهلاك وخلق خوارق العادات كخلق أدم وقصة مولد عيسى عليه السلام وقصة إبراهيم والطير وعصا موسى ويده التي يدخلها في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين من غير مرض، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص، وإحياؤه الموتى بإذن الله وإخراجه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكذلك ناقة صالح التي جعلها الله له آية، وإماتة الله رجلا مائة عام ثم بعثه إلى غير ذلك من الخوارق التي تدل على قدرة قادرة، وتدبير إلهي حكيم.

8- العظة والعبرة لكل من الفريقين – المؤمنين والكافرين – فقد اشتملت القصة القرآنية على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس وتدفع الكافرين إلى الإيمان لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم أو يحل بهم من العذاب العاجل مثل ما حلّ بقوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط[2]. وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم،، والتفاني في نشر تعاليمه، وتحمل الأذى في سبيله، لينالوا من النعيم ما أعد لهم ولأمثالهم السابقين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[3].

9- بيان عاقبة التقوى والصلاح. وعاقبة الشر والفساد كقصة ابني أدم وقصة صاحب الجنتين. وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم. وقصة سد مأرب. وقصة أصحاب الأخدود إلى غير ذلك من القصص.

10- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى فكانت ترد حلقات من قصص

(1) يُنْظَرْ:اللآليء الحسان في علوم القرآن: 317.
(2) يُنْظَرْ:اللآليء الحسان في علوم القرآن: 317.
(3) سورة يوسف : آية 111.

هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضا[1].

11- إثبات عقيدة البعث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جليا في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]. وقصة بقرة بني إسرائيل: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وقصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾[4]. وقصة الألوف من بني اسرائيل الذي خرجوا حذر الموت، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[5].

القصص القرآني ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: ويتضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين – أمثال قصة نوح وإبراهيم وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين – وغيرهم من الأنبياء والمرسلين من أقوامهم.

(1) يُنْظَرْ:التصوير الفني في القرآن: 125.
(2) سورة البقرة : آية 259.
(3) سورة البقرة : آية 73.
(4) سورة الكهف : آية 21.
(5) سورة البقرة : آية 243.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة الفيل وأصحاب الجنة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران والأنفال وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب وحادثة الإسراء والمعراج في سورة الإسراء.

منهج القصة في القرآن وخصائصها:

تمتاز القصة القرآنية بمنهج وخصائص تختلف عن القصص الفني الطليق من جوانب متعددة، سنوضحها من خلال الآتي:

أولاً: منهج القصة القرآنية

يقوم منهج القصة في القرآن الكريم على الآتي:

1- التكرار:

إذا نظرنا في القرآن نجد أن القصة الواحدة تكررت مرات عديدة مثل قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل أو قصة نوح عليه السلام مع قومه، أو قصة خلق آدم، لكن هذا التكرار لا يعني بالضرورة التطابق في المضمون والتفعيلات (الأحداث)، فقد يكون تقديم وتأخير أو إيجاز وإطناب، فكل قصة لها إطارها الخاص بها حسب موقعها في السورة يختلف تماماً عن الموقع الآخر التي ذكرت فيه حسب ما يقتضيه الحال بنمط وأسلوب يجذب القارئ ويُشعره بجديد يطرد السآمة والملل وهذا ما امتاز به الأسلوب القرآني عن الأساليب الأخرى [1].

2- الاقتصار في حوادث القصة على الغرض الديني:

القصة القرآنية لم تسرد حوادث القصة ووقائعها سرداً تاريخياً ولم تتطرق إلى الجزئيات فيها خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مغزى وهدف القصة الديني ومثال ذلك ما قصه علينا القرآن الكريم في سورة الكهف عن الفتية الذين آمنوا بالله رباً

(1) يُنْظَرْ: علوم القرآن د. عدنان زرزور: 382 .

وفروا من الكفر، فلم يذكر القرآن أسماء هؤلاء الفتية ولا البلد التي كانوا فيها ولا عددهم ولا نوع العملة التي كانوا يتعاملون بها، إلى غير ذلك من الجزئيات التي لا يضرّ الجهل بها ولا يفيد العلم بها. وإنما يكتفي ببيان العبرة والغرض الديني وهو تحقيق الهداية في حياة الناس.

3- **التزام الصدق وبيان الحق في عرض أحداث القصة:**

القصص القرآني ليس من نسيج الخيال بل هو من الواقع الذي يحياه الناس فهو من لدن حكيم عليم خبير بحياة الناس، لذلك فهو قصص لأحداث تاريخية موافقة للواقع الذي عاشه الناس بصورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة التي تُنمِّي ملكة الضمير عند القارئ للقرآن الكريم.

4- **العبر والعظات والنصائح بين ثنايا القصة:**

يفصل القرآن الكريم بين أجزاء القصة بفواصل من العبر والعظات تنبه القارئ إلى الهدف المنشود من وراء هذه المباحث ومن ثم تربط على قلب الإنسان برباط الخشية والمراقبة الإلهية، فتنمو ملكة الضمير وبالتالي تصلح أعمال الإنسان في هذه الحياة.

ومن أجل ذلك لم نجد في القرآن فصولاً خاصة بالتشريع وأخرى خاصة بالحديث عن علم الغيب كالجنة والنار أو ما يتعلق بعلم الساعة وعالم الملائكة أو العوالم الأخرى.

ثانياً: خصائص القصة القرآنية أوضحنا أن للقصة منهجاً خاصاً بها، فمن الطبيعي أن يكون لها خصائص تمتاز بها عن سائر القصص الأخرى، ولقد أوضح سيد قطب هذه الخصائص في كتابه "التصوير الفني في القرآن" [1] نلخصها في الآتي:-

1- **العرض التصويري:**

(1) يُنْظَرْ: التصوير الفني في القرآن: 148-155 .

الأسلوب القرآني في طرحه للقصة لا يطرحها بمجرد ذكر للإخبار عن أحداثها، ولكنه يصور هذه الأحداث وكأنها أشخاص مفعمة بالحياة تنطبع في ذاكرة القارئ أو شريط حي يرتسم على مخيلة السامع أو القارئ بريشة التصوير المبدعة التي تجعل من القصة حدثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تروى ولا أحداثاً قد مضت عبر التاريخ.

2- التنوع في الاستهلال بالقصة:

لقد اختلفت الاستهلالات بين قصة وأخرى في القرآن الكريم وذلك لشد انتباه القارئ فقد تبدأ القصة بالأمر كقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [2]، وأحياناً بالسؤال كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[6]، وتارة أخرى تبدأ بالتقرير والإتيان بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [7].

3- التنويع في طريقة المفاجأة:

يتضح الأسلوب القرآني البديع من خلال تنويعه للطريقة التي يطرح فيها المفاجأة في القصة حيث تأخذ الأشكال التالية:-

أ- يكتم سرّ المفاجأة عن شخصيات القصة وعن القارئ وفي مرحلة متأخرة من القصة يكشف لهم عن سرّ المفاجأة كما حدث في سورة الكهف أثناء عرضه لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام.

---

(1) سورة الشعراء – الآية 69 ، 70 .
(2) سورة المائدة – الآية 27 .
(3) سورة الذاريات – الآية 24 .
(4) سورة النازعات – الآية 15 .
(5) سورة الغاشية – الآية 1 .
(6) سورة الفجر – الآية 6 .
(7) سورة طه – الآية 36 .

ب- يكشف أحياناً بعض السرّ في القصة الواحدة، وخير مثال على ذلك عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة عين ثم إسلام بلقيس في نهاية المطاف بعد أن رأت صرحاً ممرداً من قوارير فجاء قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

ج- ومرة أخرى يكشف السرّ في مطلع القصة ومنذ اللحظة الأولى وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الجنة في سورة القلم: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] .

4- تنوع طريقة العرض:

نشاهد في القرآن الكريم أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة وهي كالآتي:

أ- يذكر ملخصاً للقصة في بدايتها ثم يعرض التفصيلات مثل قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [3] ثم يبدأ بتسلسل الحديث عن أحداث القصة.

ب- يذكر الهدف والمغزى من القصة ثم يبدأ بالقصة من أولها إلى نهايتها وخير مثال على ذلك قصة يوسف عليه السلام التي بدأها بالرؤيا ثم أخذ بالتفصيل عن أحداث القصة.

ج- يذكر أحياناً القصة مباشرة بدون مقدمة أو تلخيص ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يُغني عن تلك المقدمات كما جاء في قصة مريم ومولد ابنها عيسى عليه السلام، ومثل قصة سليمان عليه السلام وحديثه مع النمل والهدهد وبلقيس.

---

(1) سورة النمل – الآية 44 .
(2) سورة القلم – الآية 17-20 .
(3) سورة الكهف آية : 9 .

د- يجعل في أحيان أخرى القصة على شكل تمثيلية مثل قصة إبراهيم وحواره مع قومه عند تكسيره للأصنام وحواره مع ولده إسماعيل عندما أُمر بذبحه ثم تعاونهما في وضع القواعد للكعبة المشرفة.

أهداف القصة:

الإطلاع على القصص في القرآن الكريم له فوائد كثيرة ومتعددة نوجزها في الآتي:-

1- بيان أسس الدعوة إلى الله، وتوضيح أصول الشرائع السماوية التي بُعث بها كل رسول، وبيان أن دعوة الأنبياء واحدة في أصول العقائد مثل الإقرار بوحدانية الله وعدم الإشراك به، وأن الأنبياء والرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام جاءوا بكلمة واحدة، وهي كلمة "لا إله إلا الله" وقضية واحدة هي ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ وهي قضية العبودية لله وحده دون شريك له في الملك والألوهية والحاكمية والتشريع قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [1].

2- تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة الإسلامية على دين الله والعمل على زيادة ثقة المؤمنين بنصرة الحق وأهله وخذلان الباطل وأعوانه وتأتي القصة القرآنية للتسرية عن قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين عندما يلقون العنت والتشريد والعذاب بسبب إيمانهم فيعرض عليهم قصص الأمم السابقة ليعلموا أن المؤمنين من قبلهم لقوا من العذاب ألواناً، فصبروا على عقيدتهم حتى أتاهم النصر في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [2].

3- بيان العبرة والعظة: لقد ذكر الله سبحانه قصص الأمم الماضية وأخبارهم وما حاق بهم من العذاب والهلاك نتيجة لتكبرهم على الحق وتكذيبهم للرسل وعنادهم وتجبرهم في الأرض بغير الحق وأوضح الحق تبارك وتعالى قدرته في استئصال

(1) سورة الأنبياء – الآية 25 .
(2) سورة غافر الآية 21 .

المعاندين المكذبين ليكونوا عبرة لمن سيأتي من بعدهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [1].

4- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء لدعوتهم وبيان لنعمة الله عليهم مثل قصة سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويونس حيث كانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تظهر نعمة الله عليهم في كثير من المواقف.

5- إثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله من آدم عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ففي سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالة فقد تحدثت السورة عن قصص الأنبياء فذكرت طرفاً من قصة موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل ثم عقّبت على ذكرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [2].

6- إظهار صدق النبي ﷺ في دعوته وأنه نبي يوحى إليه فقد أشار الحق تبارك وتعالى عقب كل قصة من عرضها بما يثير الانتباه إلى هذه المعلومات أنها لا يمكن أن تكون من محمد ﷺ لأنه لبث فيهم أربعين عاماً، ولم يذكر لهم عنها شيئاً كقصص الأنبياء أو الأمم السابقة وأنه ﷺ لم يذهب إلى أحبار اليهود ورهبان النصارى ليأخذ عنهم أخبار الأنبياء والأمم السابقة وإنما هي وحيٌ من عند الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [3].

7- القصص القرآني يكشف عن الزيف والتحريف الذي قام به أهل الكتاب، ويوضح ما كتموه من البينات والهدى ويتحداهم بكشفه عما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل من الحقائق قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا

(1) سورة الكهف الآية 59 .
(2) سورة الأنبياء الآية 91 .
(3) سورة آل عمران الآية 44 .

حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (1).

(1) سورة آل عمران الآية 93 .

المبحث الرابع عشر

أخبار الغيب في القرآن الكريم

المبحث الرابع عشر

أخبار الغيب في القرآن الكريم

وفي هذا الوجه مبحثين:

1) أخبار القرآن عن الأمم السالفة:

إن حوادث التاريخ ليست وقفاً على أحد من الناس دون أحد، فقد يتناقل أجيال من الناس حادثة معينة، خبراً له شأن أو قصة عجيبة، أو حادثة ذات أثر، ولكن الذي جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ليس من هذا القبيل فأخبار الأمم في القرآن الكريم جاء بها النبي (ﷺ) من عند الله وهو أمي باتفاق محبيه ومبغضيه، أوليائه وأعدائه وأصحابه وخصومه، لم يقرأ كتب الأولين، ولم يجلس لمعلم يقصص عليهم قصصه قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] ثم إن الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، وجاء بها القرآن الكريم كان بعضها حديثاً عن أهل الكتاب، وبعضها عن غيرهم.

أما أخباره عن أهل الكتاب فكان منها ما لم يعرفه أهل الكتاب أنفسهم وكان منها ما عرفوه ولكن على غير حقيقته، فجاء القرآن الكريم ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبين لهم وجه الحق، ويدلهم على وجه الصواب.[2] وأما ما كان حديثاً عن غير أهل الكتاب، فكان بعضه عن العرب الأولين، وبعضه الآخر عن غيرهم، هذا وذاك كان كثير منه جديداً على العرب، لم يستمعوا إليه إلا من القرآن الكريم، وكان بعضه الآخر مما كانوا يعرفونه معرفة غير سليمة، فجاء كتاب الله تبارك وتعالى يجلي لنا

(1) سورة العنكبوت الآيات:48-49.
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن الكريم فضل عباس:98.

الحق في هذه الأخبار كلها يقول الله تعالى بعد أن بين قصة نوح عليه السلام في سورة هود ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] فإن ما جاء في القرآن الكريم، وبخاصة أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كان من أعظم الأدلة على صدق الوحي – وصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه لم يكن فيه ما يشين هذه الصفوة المختارة مما لا يليق بمكانتهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [2].

2- إخبار القرآن بأمور من غيب المستقبل:لقد جاء القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت كما أخبر القرآن عنها لم يتخلف منها خبر من ذلك:

أ- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [3] ولقد كان ما أخبر عنه القرآن الكريم.

ب- وعد الله أن يحفظ هذا القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أي تغيير يناله أو تبديل فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [4].

جـ- ما أخبر القرآن الكريم من نصرة نبيه (ﷺ) ونصر المؤمنين، وتمكين دينهم لهم، واستخلافهم في الأرض وتبديل خوفهم أمناً فقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [5]

(1) سورة الاية هود:49.
(2) سورة يوسف الاية:111.
(3) سورة آل عمران الاية:12.
(4) سورة الحجر الاية:9.
(5) سورة النور: من الآية55.

د- ما أخبر الله به في هذا القرآن من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفوس البشرية قال سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] هذا بعض أنباء الغيب في كتاب الله تبارك وتعالى، ولقد تحقق كل ما أنبأ عنه القرآن الكريم[2] ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.[3]

القيمة التاريخية لقصص القرآن:

يُجمع كل الباحثين على أن القرآن هو أول وثيقة، لمعرفة أحداث الجزيرة العربية وأوضاعها في صدر الإسلام إلا ويضع القرآن أول مستند لدراسته وجمع معلوماته، مهما كانت عقيدة هذا الباحث في مصدر القرآن وجوهره.

إذن.... كيف يُجمِّع الباحث المؤرخ معلوماته عن الجزيرة على ضوء القرآن وأبحاثه؛ حتى إذا وقف أمام أخباره عن الأمم الماضية وأحداثها ناقض نفسه قائلاً: إن هذه الأخبار يعوزها السند التاريخي والميزان العلمي الصحيح؟!.

سَلْ جميع مؤرخي الشرق والغرب عن أول مصدر يعتمدون عليه في ما لهم من معلومات عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن موسى وخروجه من مصر واجتيازه (تيه سيناء) إلى فلسطين يجيبوك إنه: الكتب المقدسة.

أفتكون هذه الكتب مصدراً تاريخياً علمياً نزيهاً، ثم لا يكون القرآن واحداً من هذه المصادر على الأقل؟!...

(1) سورة فصلت: من الآية53.
(2) سورة الإسراء الاية:105.
(3) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان226.

إن الأمر في هذا يعود إلى واحد من اثنتين:-

إمّا أن تؤمن بأن القرآن ليس أكذوبة سجّلها محمد (ﷺ) على ربّه عز وجل وإنما هو كلام الله ووحيه إليه، بلّغه إلى الناس بصدق وأمانة.

وعندئذ فان التاريخ هو الذي يستمد من حديث القرآن وأخباره وليس العكس، وليس لك من سبيل إلى الشك بأي حرف منه.

وإما أنك لا تؤمن به كلاماً من عند الله عز وجل، مهما قامت أمامك الأدلة والبراهين، وعندئذ نقول لك:- لقد دلّ التاريخ بعمومه ودلّت السيرة النبوية بخصوصها، على أن ما جاء به القرآن من أخبار الأمم البائدة كان شيئاً يجهله العرب جهلاً تاماً، وإنما كان يعلم بعضاً منه أهل الكتاب الذين درسوا التوراة والإنجيل.

وقد كان اليهود هم الذين يُساكنون العرب في جزيرتهم، وكانوا –كما هو معلوم- ضنينين بما عندهم من هذه المعلومات، ولم يكونوا يبوحون بها إلى غيرهم بأي شكل ولأي سبب.

وهذه الحقيقة التي لا ينكرها أيّ مثقف منصف، هي التي كوّنت معنى الإعجاز في القصص القرآني، فقد كان الرسول (ﷺ) أمياً لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه ولم يدرس أو يتردد على واحد من أهل الكتاب.

ولا ينبغي أن تلتبس عليك حقيقة القصة القرآنية بالأمثلة التي يضربها على سبيل التقريب والتشبيه، فلكل منهما أسلوبه المتميز وليس في الناس من يجهل الفرق بين مثلٍ يضرب به، وقصة تروى وتنقل. نقول هذا ونحن نعلم أن في الناس من يتجاهلون الفرق ويغمضون أعينهم عمداً، ثم يذهبون يقررون أن القصة في القرآن ليست أكثر من أمثلة تُضرب.

أن من آمن بأن القرآن وحي من عند الله، علم بذلك أن القصة القرآنية هي موضع القطع الذي لا يلحقه أي ريب، ومن لم يؤمن بذلك، أدرك هذه الحقيقة نفسها إذا ما تأمل في مصادره السيرة والتاريخ وعلاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة.

أما من أشتهى إن لا يدرك هذه الحقيقة، فليس أمامه إلى ذلك إلا سبيل واحد، هو أن يدعي أن القرآن يكذب!.. وذلك لأن القرآن يقول عن كل ما رواه من الأخبار والقصص ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] أما نحن فنقول: صدق رب العالمين.[2]

(1) سورة يوسف: من الآية111.
(2) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان226

المبحث الخامس عشر

النظم القرآني

المبحث الخامس عشر

النظم القرآني

النظم لغةً: هو التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، يقال: نظمت اللؤلؤ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله. ومنه: نظمت الشعر. والنظام ـ بكسر النون ـ: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ...[1].

وبهذا يكون المعنى اللغوي المشترك هو ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك، وهو ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، فالنظم عنده هو: تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض[2].

وقد كان لقضية إعجاز القرآن أثر كبير في بلورة فكرة (النظم)، وإنَّ ما وصلنا من كلام يتصل بإعجاز القرآن يرجع إلى القرن الثالث الهجري، بعد ازدهار حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية، ولاسيما اليونانية، فضلا عن ظهور بعض الفرق الكلامية، كالمعتزلة، إذ ذهب إبراهيم النظام (231هـ) ـ من بينهم ـ إلى أنَّ القرآن معجز بالصرفة، أي أنّ الله ـ عز وجل ـ صرف العرب عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة[3]. وقد يكون معنى (الصرفة) هو أنَّ للبشر إمكانيات محدودة، ليس لأحد منهم أن يتجاوزها، ومن ثمَّ لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، على أنَّ لله تعالى إمكانيات مطلقة لا تتوفر لبني البشر. وقد ألف في قضية (إعجاز القرآن) ـ قبل عبد القاهر ـ كثير من العلماء، لعلَّ أشهرهم: الرماني (386هـ) في ((النكت في إعجاز القرآن))، والخطّابي (388هـ) في

(1) يُنْظَرْ: لسان العرب، مادة (نظم).
(2) يُنْظَرْ: دلائل الإعجاز: 55.
(3) يُنْظَرْ: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: 271/1 ، و الملل والنحل، للشهرستاني: 56/1.

((بيان إعجاز القرآن))، والباقلاني (403هـ) في ((إعجاز القرآن))، ثمَّ توالت المؤلفات في هذا الباب.

وفي هذه الكتب والرسائل ـ وغيرها من المؤلفات ـ التي تكلمت على إعجاز القرآن حديث عن (النظم)، بيد أنَّ هذا الحديث لم يوضح لنا فكرة (النظم) أو الغرض منها، مثلما فعل عبد القاهر فيما بعد، وإنَّما هو ومضات في الطريق سار عليها البلاغيون، فضلا عن أنه ظلّ حديثا يدور ـ غالبا ـ في فلك التنظير، من دون أن يتجاوز ذلك إلى التطبيق، فأبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني يرى أنَّ حُسن البيان في الكلام على مراتب، وأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل التنظيم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبّل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة[1] ويرى الخطّابي أنَّ القرآن ((إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصح المعاني))[2]، ثم يتحدث عن القرآن قائلا: ((ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه))[3]. والنظم ـ عند الخطابي ـ ليس سهلا ميسورا، وإنّما يحتاج إلى ثقافة ومهارة، إذ يقول:((وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر لأنّها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان))[4].

أما الباقلاني فيرى أنّ كتاب الله معجز بالنظم ـ أيضا ـ لأنَّ نظمه خارج عن وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، إذ يقول: ((فأما شاو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب))[5]. ويقول

(1) يُنْظَرْ: النكت في إعجاز القرآن: 107.
(2) يُنْظَرْ: بيان إعجاز القرآن: 27.
(3) المصدر نفسه: 27.
(4) المصدر نفسه: 36.
(5) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن: 112.

أيضا:((وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدٍّ واحد، في حسن النظم وبديع التأليف والصرف))[1]. وقال أيضا:((ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها))[2].

هذا ما كان من أمر نظرية النظم قبل القرن الخامس الهجري، أو لنقل قبل عبد القاهر الجرجاني، فلم نجد فكرة واضحة عنها إلا في كلام القاضي عبد الجبار (415هـ) الذي كان أكثر وضوحا، إذ رأى أنَّ الفصاحة والبلاغة تقومان على ضمّ الكلمات وتقارنها، فقال:((اعلم أنَّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بدَّ مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنّه إما أن تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها. ولا بدَّ من هذا الاعتبار في كلِّ كلمة. ثم لا بدَّ من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنَّها قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها...))[3].

نظرية النظم عند عبد القاهر:

كان عبد القاهر الجرجاني قد اطلع على آراء من سبقه في هذا الشأن ففسر فكرة الإعجاز تفسيرا يقوم على (النظم)، وربط الإعجاز بالنظم، إذ رأى أنَّ الكتاب العزيز معجز في نظمه، أو توخي معاني النحو التي أطلقها عبد القاهر على موضوعات: التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والقصر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير...

(1) إعجاز القرآن: 37.
(2) كتاب التمهيد، الباقلاني، تحقيق: يوسف مكارثي: 151.
(3) المغني في أبواب التوحيد والعدل: 199/16 وما بعدها.

والنظم ـ عند عبد القاهر ـ هو:((تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض...))[1]، أو هو توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه فيما بين معاني الكلم، أي أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها))[2]. ثمَّ يقرّر عبد القاهر أنَّ اللفظة المفردة لا قيمة لها في ذاتها، لا في جرْسها ولا دلالتها مزيّة أو فضل، وإنّما تكون لها مزيّة حينما تنتظم مع جارتها في جمل أو عبارات، ومن ثمَّ يتلاءم معناها مع معاني الألفاظ التي تنتظم معها، أي أنَّ الألفاظ لا تتفاضل إلا إذا اندرجت في سلك التعبير، وانضم بعضها إلى بعض، وأخذت مكانها الطبيعي الذي تقتضيه الصورة وانسجمت مع ما قبلها وما بعدها لأداء المعنى الذي يريده المتكلم، وبهذا تلتقي بلاغة الكلام وفصاحته مع فكرة (النظم) التي أتعب عبد القاهر نفسه في شرحها والتدليل عليها[3].

ويعدُّ عبد القاهر أولَّ عالمٍ أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتأويلات حول البناء والإعراب، إذ أخضع النحو لفكرة (النظم)، فقال: ((معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)). وقال أيضا:((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو...))[4]، أي ليست العمدة في معرفة قواعد النحو وحدها، ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد والأصول، وقد يكون أحدنا لا يعرف التسميات الدقيقة لموضوعات النحو، ولكنّه يعرف الفروق بينها ويحسّ بمعانيها حين يسمعها، شأنه في ذلك شأن البدوي الذي عاش بعيدا عن النحو ومصطلحاته، أو قبل أن يعرف علم النحو، غير أنّه كان يفهم ما يسمع ويميّز بين أسلوب وآخر...

(1) دلائل الإعجاز: 5.
(2) المصدر نفسه: 63، 342.
(3) يُنْظَرْ: دلائل الإعجاز: 38-47، ونظرية النظم، د. حاتم الضامن: 30.
(4) المصدر نفسهُ: 38- 40.

ويقرّر عبد القاهر ـ أيضا ـ أنَّ معاني النحو في القرآن الكريم قد بلغت درجة من الوضوح والظهور والانكشاف لم يبلغها أيّ نصٍّ آخر، وهو ـ أي عبد القاهر ـ يستشهد بأمثلة من الشعر العربي، ومن ثمَّ يوازن بينها وبين النظم القرآني، لكي يصل إلى سرّ الإعجاز القرآني المتمثل في (نظمه)، أو في طريقة تأليفه... والألفاظ عند عبد القاهر تقع مرتبة على المعاني المرتبة في النفس، لأنّك ترتب المعاني في نفسك أولا، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك، لأنّه ((لا يُتصوّر أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وإنَّك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنَّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنَّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق))[1]. وهذا يعني أنَّ الأديب حينما يكتب لا يفكر بالألفاظ ولا يطلبها وإنَّما يطلب المعنى، أما الألفاظ فتبع له، أي للمعنى، تأتي عند التفكير به وترتب بحسب ترتيبه في النفس.

وهناك من يرى أنَّ عبد القاهر ـ هنا ـ يصدر عن عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي القائم بالذات ـ بوصفه متكلما أشعريا ـ حين يقرّر أنَّ الكلمات تترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس، إذ يقول الدكتور جابر عصفور: ((إنَّ نظرية النظم تعتمد على المبدأ الأشعري الذي يفصل بين الدلالة والمدلول، ويسلم بأسبقية المعاني القائمة في النفس على الألفاظ الدالة في النطق))[2].

ويقول الدكتور شكري محمد عيّاد:((أما الجرجاني فقد كانت نظرية الكلام النفسي هي عمدته في قضية اللفظ والمعنى))[3].

---

(1) دلائل الإعجاز: 93
(2) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور: 385.
(3) المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد الأدبي والبلاغة العربية، د. شكري محمد عيّاد، مجلة الأقلام، العدد (11)، آب 1980، ص11.

وتكلم عبد القاهر ـ أيضا ـ على ما يسمّى بـ(معنى المعنى)، أو ما يسمّى اليوم بـ(The meaning of meaning)، إذ يقول:((أولا ترى أنّك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنَّه مضياف، ومن طويل النجاد أنّه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها...))، أي أنَّ في هذه الجمل معنيين: المعنى الأولي الذي تستدل عليه من ظاهر اللفظ، والمعنى الثانوي الذي تستدل عليه بعقلك، وهو ما يسمّى بـ(معنى المعنى). ثم يلخص لنا عبد القاهر هذه الفكرة بقوله: ((وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثمَّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك))[1].

من هنا نرى أنَّ المعاني الإضافية عند عبد القاهر هي أساس جمال الكلام، وإليها ترجع الفضيلة. وهذه الفكرة لم يلتفت إليها أحد من النقاد العرب السابقين، وتناولها بالبحث النقاد الغربيون وسموها بـ(معنى المعنى) أيضاً، أو (The meaning of meaning).وإذا كان هناك من أشار ـ قبل عبد القاهر ـ إلى أنَّ القرآن معجز في نظمه وحسن تأليفه، فإنَّ أحدا لم يستطع أن يكشف لنا عن وجه هذا الإعجاز مثلما كشفه عبد القاهر، لذا عدَّ عبد القاهر رائدا في هذا المجال، بعد أن شغلته فكرة (الإعجاز) وقرن بين التنظير والتطبيق، فحلل النصوص، وأظهر ما فيها من روعة وجمال أو تكلّف وإسفاف. وقد أعانته نظرية النظم وإدراكه لما في اللغة من قدرات

(1) أسرار البلاغة: 102.

على أن يبدع في التحليل وأن يكون من المعتقدات النقاد والبلاغيين العرب، حتى عدَّ واضع أسس المنهج التحليلي في الدراسات النقدية[1].

فكرة النظم في القرآن

أجزاء النظم:

1- اللفظ المفرد:

إن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ولابد من استحضار معاني الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [2] لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب، لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [3] أحسن من التعبير (بتقرأ) لثقله بالهمزة. ومنها: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [4] أحسن من (لا شك فيه) لثقل الإدغام، ولهذا أكثر الريب. ومنها قوله تعالى: (وَلا تَهِنُوا)[5] أحسن من قوله(ولا تضعفوا لخفته) ونكح أخف من تزوج، لأن فعل أخف من تفعل.

فالألفاظ لبنات التركيب، وليس لكلمة فضل على أخرى، إذا كانت وحدها فإذا نظمت في جملة أو عبارة وضحت قيمتها، وكانت بذلك النظم دليلاً على نفسها من حيث روعتها أو سقوطها.

---

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب: 225، ونظرية النظم، د. حاتم الضامن: 100.
(2) سورة الرحمن: من الآية54.
(3) سورة العنكبوت: من الآية48.
(4) سورة البقرة: من الآية2.
(5) سورة آل عمران: من الآية139.

استمع إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1] ولو وضعنا مكان (أثاقلتم) تثاقلتم، لتلاشى الجرس الموسيقي وتلاشى الإيحاء بالتثاقل وكراهية النفور في سبيل الله.

ومثل هذه الكلمة في رسم الصورة الشاخصة المتحركة في نسق تعبيري (عتل) في تمثيل الغليظ الجافي المتنطع ﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [2].

والصاخة والطامة التي تكاد كل منهما تخرق صماخ الإذن.

ومثلها ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [3].

فكلمة (عسعس) توصي بثقل الليل وهو يدبر، وقد كان كاتماً أنفاس النهار، وكلمة (تنفس) توصي بأن الصبح بدأ يستفيق من بطش الليل وهوله، وأخذ يستعيد أنفاسه شيئاً فشيئاً.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴾ [4] تحس في قرار نفسك بأن يوم القيامة عنيف عنيف، كالح الوجه مكفهر التقاطيع، ليس فيه أمل أو رجاء للكافرين، وبتوالي كلمتي (عبوس وقمطرير) يبدو هذا الثقل الذي يكون في اليوم الكريه، والذي هو ما يتمنى المؤمنون أن يتجنبوه.

ثم أنظر إلى الصورة المقابلة في ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴾ [5] تجدها على النقيض من الصورة الأولى: فالكلح والعبوس والاكفهرار يقابله النظرة والسرور، والجنة والحرير، الجو المعتدل الذي لا حر فيه.

ويستخدم القرآن كلمة (يشعرون) في الأمور الحسية التي يكون للحواس صلة بها كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ (الزمر:55).

---

(1) سورة التوبة: من الآية38.
(2) سورة القلم الاية:13.
(3) سورة التكوير الايات:17-18.
(4) سورة الإنسان الاية:10.
(5) سورة الإنسان الاية:11.

والعذاب مما يحسّ به الإنسان. ويطول بنا المقام إذا نحن استعرضنا أمثلة أكثر من ذلك في هذا الصدد، لأن كل لفظ قرآني جدير بأن نقف عنده وقفة طويلة دقيقة.

المهم أن لكل لفظ مقاماً في التركيب، تقتضيه الصياغة ويتطلبه المعنى ويدعو إليه النسق، ويستلزمه النظم في القرآن الكريم.

2- التركيب والسبك:

أن التركيب والسبك هو الذي يمنح الكلمة حظها من الحياة، وأن نظم القرآن خاضع لقواعد النحو، فهو القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال.

والآية القرآنية تجيء تبعاً للمعنى النفسي فترسمه وتبرز له طولا وعرضاً أو تجسمه وتجعله شاخصاً أمام البصر حتى تزيد تمكناً في النفس، وحتى تثبت لأصحاب الفطرة اللسانية عجز مقدورهم، فيتحقق صدق المعجزة.

ولا نستطيع أن نغفل شأن الزمخشري ونظرته المتمايزة عن نظرات غيره من الباحثين، فهو حينما يعرض لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] يشير إلى دور كل من إبراهيم وابنه كما رتبتهما الآية، فدور إبراهيم أصلي، ودور إسماعيل ثانوي (قيل كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة).

وهذا من روعة الترتيب والتركيب والسبك.ولقد أوشك عبد القاهر الجرجاني – وهو سابق للزمخشري- أن يبلغ الغور ويفتح فتحاً جديداً في معرفة بلاغة القرآن. إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم،الوقوف على حقيقته ومن دقيق ذلك وخفيه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[2] لم يزيدوا فيه على فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها، ولم يروا للمزية موجباً سواها.

(1) سورة البقرة الاية:127.
(2) سورة مريم: من الآية4.

وقولـه: (فسـيكفيكهم) فأنهـا كلمـة مـن تسـعة أحـرف، وهـي ثلاثـة مقـاطع وقـد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها.

أما نظم القرآن عند الرافعي فهو يتمثل:

1- في الحروف وأصواتها.
2- في الكلمات وحروفها.
3- في الجمل وكلماتها.[1].

وهذا ترتيب منطقي، فالحروف هي التي تتكون منها الكلمات، والكلمات هي التي تتكون منها الجمل، ويرى الرافعي أن أصوات الحروف في القرآن الكريم منسجم بعضها مع بعض، بحيث يتكون فيها جرس صوتي خلاب، أو كما يُعبر عنه بلغة العصر (موسيقى صوتية جذابة) فقد نجد ثقلاً في ضم حرف لحرف، أو إتباع حركة لحركة، ولكن هذا الثقل يتلاشى في نظم القرآن الكريم ويمثل لذلك بقول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ)[2] فرغم هاتين الضمتين الثقيلتين على النون والذال في كلام الناس، إلا أنهما جاءتا في القرآن الكريم بعيدتين عن هذا الثقل، بل جاءتا بجرس أخاذ.

(1) يُنْظَرْ : إعجاز القرآن للرافعي:222-223.
(2) سورة القمر الآية:36.

ويرى الرافعي أنه ينتج من الكلمات في حروفها، والجمل في كلماتها أصوات ثلاثة هي:

- صوت النفس، وصوت العقل، وصوت الحس.

أما صوت النفس فإنما ينشأ من الكلمات ومعانيها، فكل لفظة تتساوق وتنسجم مع معناها الذي أعدت له، وهذا ما يسمى في العصر الحديث بالإيحاء، وأما وصوت العقل فإنما ينشأ من تركيب الكلمات في الجمل، ذلك لأن هذا التركيب أعني تركيب الكلمات في الجمل لابد فيه من عمليات فكرية، فنحن بداهة بحاجة ماسة إلى الفكر والعقل لندرك الصلة بين الكلمات في الجمل، وهذان الصوتان قد عرفهما العرب من قبل.

أما صوت الحس فهو الذي لم يعرفه العرب قبل القرآن، وهو تقدير الكلمات تقديراً محكماً لمعانيها، بحيث لا نجد كلمة فضفاضة تزيد على المعنى الذي جيئت من أجله وأخرى لا تعبر عن المعنى تعبيراً تاماً، وهذا ما لا نجده في شعر أو نثر، فقد نجد البيت الواحد في القصيدة أو الجملة في الخطبة ننعم النظر فيها، وإذ بنا يمكن إن نطرح بعضها ونستغني عنه وليس كذلك في القرآن الكريم.

ولعلّ أبرز ما يمتاز به أسلوب المشاهد القرآنية هو هذا الإيقاع الصوتي المملوء نغماً، ولعلنا لا نخطئ إن رددنا – مع من يقول- سحر القرآن إلى نسقه الذي يجمع مزايا النثر والشعر جميعاً (فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقي الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل والقوافي). فتكاد تستقل – بجرسها ونغمها وظلالها- بتصوير مشهد بديع الألوان. والأمثلة في المشاهد كثيرة، وكلها تشير إلى أن جرس المفردات القرآنية وظلال خيالها يوحيان بالمعنى قبل أن يوحي المدلول اللغوي عليه،

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [1]

فهمس السين المكرورة، وخفة وقعها في الأذن يوحيان بظلال النعومة وراحة النفس. وفي (عسعس) و(تنفس) جرس يوحي بدلالة المعنى اذ يرسم صورة حسية لإقبال ظلام الليل بآفاقه المترامية... ثم انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه، وما يصحب ذلك من صحوة الكون، ودبيب الحياة في أرجائه. وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك في قوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ ثروة شعورية وتعبيرية، فوق ما يشير إليه من حقائق كونية. ثروة جميلة بديعة رشيقة، تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر.

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ [2] فإن لفظة (سجى) بجرسها الرقيق العذب، تتناسب وهذه النعمة التي جعلها الله في الليل – حين يغطي النهار بطمأنينته وسكونه فيأنس القلب البشري بتعاطف هذا الوجود- وتصورها أبلغ تصوير.

ومن مثله أيضاً قوله تعالى:

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ ﴾ [3]

ففي (أغطش) و(أخرج) شدة في الجرس والمعنى، تناسب الحديث عن الشدة القوة. وأعطش ليلها أي أظلمه، وأخرج ضحاها أي أضاءها. ولكن اختيار الألفاظ يناسب جو المشهد. وفي قوله تعالى:-

(1) سورة التكوير الايات:15-18.
(2) سورة الضحى الآيات:1-3.
(3) سورة النازعات الآيات:27-29.

﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] يشير التعبير عن الفلك بتلبية حاسة الجمال لا بمجرد الركوب والانتقال وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ لفتة إلى متاع الرؤية وروعتها. وتحمل (الخاء) إلى الإذن صوت الفلك وهي تشق الماء.

ومن مشاهد الآخرة قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] فقد رسمت لفظة (ناضرة) أزهى لون لصورة الوجوه السعيدة الناظرة إلى ربها. كما رسمت لفظة (باسرة) أمقت لون للوجوه الشقية الكاحلة الباسرة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [3] ففي صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة (تحيد) رهبة تملأ الصدور لا يمكن أن تعبر عنه كلمة أخرى مثل (تنحرف) أو (تبتعد).

وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [4].

وفي المشاهد القرآنية نلحظ تناسق الإيقاع والمعنى فيما بين الفواصل وما قبلها، فيما بين بداية الآيات وما بعدها من تلك الآيات. ومن ذلك قوله تعالى:-

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [5] فالله يعلم ما يجري في المشرق والمغرب، فناسب ختم الآية بوصفه تعالى بالعلم.

وهكذا يبدو الجمال الإيقاعي في النظم القرآني متلائماً مع النغمة ومع المشهد الذي تعبر عنه الآيات في إطار من الموسيقى الداخلية المتنوعة، وكذلك تبدو الفاصلة القرآنية في اتصالها بالآية وفي انفرادها عنها، وفي توازنها مع غيرها، أو استقلالها بذاتها، والقرآن حين يستخدم هذه المشاهد في التعبير يجعلها ماثلة في الأذهان حية

(1) سورة النحل: من الآية14.
(2) سورة القيامة الايات:22-25.
(3) سورة قّ الآية:19 .
(4) سورة الطور:13-14.
(5) سورة البقرة الآيات:115.

شاخصة في الوجدان بما تثير في النفس من رغبة ورهبة، ومن ثم يكون التأثير المقصود.. وتظل الصورة حية متجددة...

ولعل هذا هو السر في خلود القرآن وحياته في النفوس منذ نزوله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والحقيقة والجمال في الحياة والكون ملتقيان، فالشمس والقمر والنجوم، السهل والجبل، والبحر والزهرة والشوكة والفراشة. كلها من حقائق الكون ولكل منها جماله.

لقد تضمن القرآن دعوة إلى تصور معين للكون والحياة والإنسان، معبراً تعبيراً جميلاً عن هذا التصور.ولما كان الأصل في نظم القران أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري من الحشو والاعتراض،بل نزلت كلماته منازلها،وهذا هو سر كتاب الله –عزو جل – الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.[1]

وبعد ما مضى من كل سبق أما آن لنا أن نردد قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[2]

(1) يُنْظَرْ: إعجاز القران للرافعي:225

(2) سورة الكهف الاية:109.

الخاتمة

1 – أهمية النظم في فهم مسألة إعجاز القرآن الكريم

2 – عجز أعداء الإسلام قديما وحديثا عن الإتيان بمثل القرآن، أو البرهان على كونه من صنعة البشر.

3 – انفراد اللغة العربية بالقدرة على استيعاب إعجاز القرآن الكريم.

4 – القرآن الكريم مخالفا لفنون اللغة، من شعر ونثر وأمثال و غير ذلك، لأن القرآن الكريم كلام الله، وليس من صنعة البشر.

5 – القرآن الكريم حفظه الله من التبديل و التحريف، بخلاف التوراة والإنجيل.

6 – القرآن الكريم على الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة. وهو يخلو من عيوب كلام البشر لأنه من لدن حكيم خبير.

7– القرآن الكريم يحوي إعجازاً لغوياً في البلاغة والبيان والبديع، وعلم المعاني.

8 – لا يمكن التعبير عن جمال وإعجاز كلام الله في القرآن الكريم.

9 – إرضاؤه للعامة والخاصة على نحو مبهر.

10– بطلان القول بالصرفة.

11- الالتزام بتوظيف الحقائق العلمية في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله تعالى وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله-ﷺ- باستثناء حالة واحدة ؛ وهى حالة الآيات والأحاديث التي تفصل قضايا الخلق والإفناء والبعث بأبعادها الثلاثة – خلق كل من الكون والحياة والإنسان وإفنائهم جميعا ثم بعثهم من جديد – لأن هذه من القضايا التي لا تخضع لإدراك الإنسان ومشاهدته بطريقة مباشرة، وبذلك لا يمكن للعلوم المكتسبة أن تتجاوز فيها مرحلة التنظير – أي وضع نظرية

12- المعجزة أمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة يظهره الله تعالى على يد نبي، تصديقاً له في دعوى النبوة.

13-والإعجاز هو تأديته بطريق أبلغ من كل ما عداه من الطرق.

14-لقد تحدى القُرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله، وتوالت تحدياته لهم إسقاطاً لحججهم، فعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله، وهو تحدي خالد دائم.

15-إن عجز العرب عن تحدي القرآن جاء معارضاً لما هم عليه من براعة أدبية وفصاحة لغوية.

16-مع جحود المشركين بمعجزة القرآن إلا أنهم لم يتمكنوا من إخفاء انبهارهم به، لذلك كان الإعجاز القرآني أحد أهم أسباب الانتساب إلى الإسلام.

17-الإعجاز البياني كان أهم واقدم أنواع الإعجاز التي حفل بها القُرآن الكريم.

18-إننا مع تطور المعارف والعلوم لا زلنا حيارى أمام معجزات القرآن التي تتوالى يوماً بعد يوم دون أن نحيط بها.

19-اختلف العلماء في سبب إعجاز القرآن والذي عليه جمهرة أهل العلم أن بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله.

2-على الرغم أن العلماء ذهب إلى القول بالصرفة وانقصموا في ذلك على فريقين، إلا أن الصرفة هي إعجاز على القولين معاً في قول من نفاها وأثبتها فخرقها للعادة فيما دخل في القدرة.

من النظريات التي تتعدد بتعدد خلفية واضعيها – وفى هذه الحالة يمكن للمسلمين الارتقاء بإحدى هذه النظريات السائدة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة صريحة لها في كتاب الله – سبحانه وتعالى- أو في سنة رسوله -ﷺ-.

المصادر والمراجع

بعد كتاب الله – القران الكريم-

1. اتجاهات التفسير لعبد المجيد المحتسب، دار الفكر.
2. إحياء علوم الدين،أبو حامد بن محمد الغزالي، بيروت – دار المعرفة.
3. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب.
4. إعجاز القرآن، للشيخ محمد متولي الشعراوي، دار الشروق.
5. إعجاز القران الكريم د.فضل عباس،عمان،1991.
6. إعجاز القران والبلاغة النبوية:صادق الرافعي، دار الكتاب العربي –بيروت – لبنان.
7. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف - مصر - 1997م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: السيد أحمد صقر.
8. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر - لبنان - 1416هـ- 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.
9. الإعجاز العلمي – د. عبد السلام اللوح – دار المجد.
10. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،عبد النجار زغلول،دار المجد.
11. الإعجاز اللغوي في القران الكريم،د.إبراهيم فوزي،دار الكتب العلمية.
12. الأعلام لخير الدين الزركلي،دار العلوم للملايين،بيروت،الطبعة الثالثة.
13. الإيضاح في علوم البلاغة، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود
14. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء مكتبة المعارف – بيروت.
15. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت - 1391، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

16. البيان في إعجاز القرآن د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار ط3، 1992م.
17. التبيان في آداب حملة القرآن،: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع - دمشق - 1403هـ - 1983م، الطبعة: الأولى.
18. التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
19. التصوير الفني في القران، سيد قطب، دار الشروق.
20. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
21. التفسير العلمي للقرآن جذوره والموقف منه د.عادل بن علي بن أحمد الشدّي أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية – جامعة الملك سعود1426هـ - 2005م.
22. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى.
23. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - 1407 - 1987، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
24. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
25. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.
26. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 - 1991، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.
27. السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل، بيروت 1411هـ.

28. الصرفة وجه من وجوه الإعجاز عرض ـ وتحليل ـ ونقدد.احمد محمد 22-33 دار الفكر.
29. الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقا أحمد علي دهمان:– دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر – دمشق –ط1-1986.
30. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، دار ابن خزيمة.
31. العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي الإعجاز العلمي في ((فاسلكي سبل ربك ذلل)) الدكتور: مصطفي ابراهيم حسن: أستاذ ومدير مركز أبحاث ناقلات الأمراض كلية العلوم-جامعة الأزهر.
32. الفوائد الغياثية فى علوم البلاغة، عضد الدين الايجى ؛ دراسة و تحقيق و تعليق عاشق حسين.
33. الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان دار الكتب العلمية – بيروت ط2/1988م.
34. القصص القرآني د. عبد الباسط بلبول،دار ابن خزيمة.
35. القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة عبد الكريم الخطيب.،بيروت، دار المعرفة.
36. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
37. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
38. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي: دار الكتب العلمية - بيروت - 1418هـ 1998م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.

39. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
40. المغني في أبواب التوحيد والعدل عبد الجبار بن احمد (القاضي) دار الفكر.
41. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ 1998 م.
42. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت - 1404، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
43. المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد الأدبي والبلاغة العربية، د. شكري محمد عيّاد، مجلة الأقلام، العدد (11)، آب 1980
44. النكت في إعجاز القرآن للرماني أبو الحسن علي بن عيسى،تحقيق:محمد احمد خلف الله،ومحمد زغلول سلام،القاهرة –دار المعارف.
45. النموذج الإسلامي العلاجي في مجال الصحة النفسية. للدكتور جمال ماضي أبو العزايم،دار ابن خزيمة.
46. النهاية في الكناية، المعروف بالكناية و التعريض، أبى منصور إسماعيل الثعالبي ؛ تحقيق فرج الحوار. الناشر سوسة: دار المعارف، 1995.
47. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،الفيروز ابادي،مجد الدين بن يعقوب،تحقيق:د.محمد علي النجار،القاهرة-1385هـ.
48. بيان إعجاز القرآن الخطابي، حمد بن محمد ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق: محمد زغلول سلام ود.محمد خلف الله ط1،دار المعارف القاهرة.
49. تأثير القرآن الكريم في نفوس سامعيه إعداد:د.محسن سميح الخالدي. دار البراء للنشر والتوزيع.
50. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

51. تفسير البغوي معالم التنزيل أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت:516 هـ) دار المعرفة- بيروت ط2، 1407 هـ تحقيق: خالد العك، ومروان سوار.
52. تفسير البيضاوي البيضاوي، دار الفكر – بيروت.
53. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1401
54. تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله النسفي.
55. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
56. ثقافة الداعية،د.يوسف القرضاوي، دار الفتح.
57. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر - بيروت – 1405.
58. جماليات الأسلوب فايز الداية،الصورة الفنية في الأدب العربي – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط2- 1996.
59. جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، دار إحياء العلوم - لبنان - 1405هـ- 1985م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني. دار إحياء التراث العربي بيروت.
60. دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - 1415هـ 1995م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. التنجي.
61. روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم،عبد الدائم الكحيل،دار الفكر روح الدين الإسلامي، عبد الفتاح عفيف طبارة، دار الفرقان.
62. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الآلوسي
63. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - 1404، الطبعة: الثالثة.
64. سؤالات ابن الأزرق' لابن الازرق، دار الهجرة للطبع والتوزيع.

65. شاهين: اللآليء الحسان في علوم القرآن د. موسى احمد،دار الفرقان.
66. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
67. علم المعاني، البيان، البديع،عبد العزيز عتيق. الناشر بيروت: دار النهضة العربية.
68. علوم القرآن – د. عدنان زرزور، ط1 دار الفتح للنشر والتوزيع.
69. علوم القرآن، د.عدنان زرزو،المكتب الاسلامي.
70. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد راضي جبريل،دار المجد.
71. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
72. فتح الرحمن لما التبس من القرآن، للشيخ زكريا الأنصاري.دار الإيمان،للطباعة والنشر.
73. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار-الفكر بيروت.
74. كتاب التمهيد، للباقلاني، تحقيق: يوسف مكارثي، دار ابن كثير.
75. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
76. لطائف قرآنية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الثانية، دار القلم،1419هـ.
77. مباحث في إعجاز القرآن،د.مصطفى مسلم، دار المسلم الرياض-1996.
78. مجلة الرسالة – المجلد الثاني – السنة الثانية – العدد–تاريخ 24/9/.1934.
79. معجم ألفاظ القرآن الكريم ط 1 الهيئة المصرية العامة، الثانية 1970.

80. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت - لبنان - 1420هـ - 1999م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
81. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
82. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة.
83. من روائع القرآن،د.محمد سعيد رمضان،دمشق – مكتبة الفارابي،1968.
84. مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر - لبنان - 1416هـ- 1996م، الطبعة: الأولى.
85. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب صلاح عبد الفتاح الخالد المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر.
86. نظرية النظم،د.صالح حاتم الضامن، دار الوفاء-للطباعة والنشر.
87. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر،برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي – دار الكتاب الإسلامي –القاهرة.